كتاب الأربعين في تصحيح المعاملة

أبي القاسم القشيري

(المتوفى سنة ٤٦٥)

حققه وعلق عليه
أبو محمد السيد أبو عمة

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر. والتحقيق. والتوزيع

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

المراسلات:
طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

مُقدمـة المُحَقق

بِسمَ الله الرَّحمٰن الرحـيم
ربِّ يَسِّر وأعِن برحَمتِكَ واختم بخيرٍ يا كريم

إن الحمدَ لله نحمده ، ونستعينُ به ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرُور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ؛ إنه من يَهْدِهِ الله فلا مُضِلّ له ، ومن يُضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورَسُوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء : ١]

أما بعد ، فإن أصدق الحَديث كتابُ الله تعالى ، وأحسَنَ الهَدْى هَدْىُ محمدٍ صَلَّى الله تَعالَى عَلَيْه وَآله وَسَلَّم ، وشرُّ الأمُور مُحدثاتُها ؛ وكلُّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكُل ضلالةٍ فى النَّار .

فإن دين الله عز وجل وشرعه لم يأت فقط من أجل أن ينظم العلاقة بين الإنسان وربه ، وإنما جاء هذا الشرع الحكيم لينظم أيضًا العلاقة بين الإنسان ونفسه ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان ، فإن هذه الجوانب الثلاثة ، أو بالأحرى – هذه العلاقات الثلاث ؛ علاقة الإنسان بربه ، وعلاقة الإنسان بنفسه ، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، هذه الثلاث هى مدار سعادة العبد فى الدنيا والآخرة ، إذا سارت وانتظمت وفق منهج الله وشرعه ، الذى أنزله فى كتابه ، وبينه الرسول ﷺ فى سننه ، وقد جمع الله تبارك وتعالى هذا كله فى آية واحدة فقال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(٤) .

فالله – عز وجل – يطلب من المسلم ويأمره بأن يسخر كل الإمكانات والطاقات التى أعطاها الله له فى طلب الدار الآخرة ، وما فيها من رضا الله وثوابه ، وما فيها من النعيم المقيم ، والنجاة من العذاب الأليم ، وهو فى طلبه لرضا الله تعالى وثوابه وجنته لا يظلم نفسه فى الدنيا ، ولا يحرمها من الطيبات التى أحلها الله له دائمًا ، بل لابد له من أن يطلب من الدنيا ما يعينه على السير فى طريق الآخرة ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾(٤) ، فلابد له من نصيب وقدر يعينه .

والجزء الثالث من الآية : ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ يتضمن وسيلة التعامل السليمة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وبينت الآية أن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان لابد وأن تقوم على الإحسان ، وتقوم على الرحمة(*) وحسن الخلق ، وقد بين الرسول ﷺ أيضًا فى سننه المنهج القويم الذى لابد للمسلم أن يسير عليه فى حياته ، فقال ﷺ فى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه : « **اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » وهو حديث صحيح بشواهده رواه الإمام أحمد وغيره ، فالحديث يحث على أن يتقى المسلم ربه فيما بينه وبين

---

(٤) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(*) انظر : رسالة الأربعين فى فضل الرحمة والراحمين لابن طولون بتحقيقنا ونشر دار الصحابة للتراث .

ربه ، ويتق ربه ويراقبه فيما بينه وبين نفسه ، ويتق ربه ويراقبه فيما بينه وبين الناس ، ولابد لعلاقته ومعاملته مع الناس أن تؤسس وتبنى على حسن الخلق .

فلكى يفوز المسلم بسعادة الدارين ويجمع بين خير الدنيا وخير الآخرة ، فلابد أن يصحح معاملته مع ربه ، ويصحح معاملته مع نفسه ، ويصحح معاملته بالآخرين ، وتصحيح معاملته فى هذه الجوانب تكون بتوفيقها وتنظيمها وتكييفها تبعًا لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ .

وهذه الرسالة التى بين أيدينا الآن هى رسالة الأربعين فى تصحيح المعاملة(**) ، للإمام أبى القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٥ .

وقد تضمنت هذه الرسالة أبوابًا فى تصحيح المعاملة مع الله ، ومع النفس ، ومع الخلق ، فأما تصحيح المعاملة مع الله تعالى فتكون بالتوبة إلى الله ، والإخلاص له فى العمل ، والبعد عن الرياء ، والاستقامة على دينه ، والنصح له ولدينه ، والحياء منه بمراقبته ، والعمل على طاعته والبعد عن معصيته ، وكذلك تكون تصحيح المعاملة مع الله بحسن الظن ، والحب له ، والتوكل عليه ، والرضا عنه ، وعن قضائه ، وإدامة ذكره تعالى فى السر والعلن .

وتصحيح المعاملة مع النفس يكون بتربيتها على التحلى بفضائل الأخلاق ، ومحاسنها ، وتربيتها على الزهد فى الدنيا والاكتفاء بما يكفى ، وقلة الكلام فيما لا يفيد ، وترك الاشتغال بما لا يفيد ولا يجدى ، والقناعة ، وتطبيع النفس على الجود والسخاء ، والتواضع والحلم ، وحفظ اللسان عن الخنى وما لا يليق من الكلام ، وكف النفس عن مساوىء الأخلاق .

وتصحيح المعاملة مع الآخرين يقوم على الإحسان ، وحسن الخلق معهم ، وترك غيبتهم ، وعدم السعى بينهم بالنميمة ، وكذلك أن يهجر أصحاب السوء ، زجرًا لهم وتأديبًا ، وخوفًا على نفسه من أن تحمل عنهم بعض ما عندهم ، ومن

(**) الأربعين يعنى أربعين بابا وليس أربعين حديثا .

أهم ما ينبغى فيه تصحيح المعاملة ؛ معاملة الابن للوالدين بالحسنى ، وبرهم إلى الغاية القصوى ابتغاء وجه ربه الأعلى .

ومن تصحيح المعاملة مع الخلق الإصلاح بينهم إذا اختلفوا ، والتقريب بينهم إذا بعدوا ، والرفق بهم والعفو عنهم إذا زلوا ، والستر عليهم إذا وجدوا على الخطأ .

ومن تصحيح المعاملة إعانة المسلمين لا سيما الصالحين والضعفاء وذوى الحاجة منهم ، وصلة الأرحام ، والرحمة بالخلق ، والإشفاق عليهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، والرفق بأهله وعياله وخدمه ، والإحساس بإخوانه المؤمنين ، والتألم لما يصيبهم من الألم ، ومواساتهم فيما ينزل بهم ، ويكون مع إخوانه المؤمنين كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

وهذه الرسالة التى بين أيدينا تحمل هذا الخير كله ، ولذلك حرصنا على خدمتها وإخراجها إخراجًا حسنًا عسى الله أن ينفعنا بها فى يوم القيامة .. آمين .

عملي في هذه الرسـالة

١ – كتبت مقدمة للرسالة ، بينت فيها معنى تصحيح المعاملة الذى هو موضوع الرسالة .

٢ – وضع ترجمة للمؤلف – مؤلف الرسالة – لكى يقف القارىء على شخصية المؤلف ، وعلمه ، ومنهجه .

٣ – تصحيح نصوص الأحاديث بالرجوع إلى المصادر .

٤ – عزو الأحاديث إلى بعض المصادر الأخرى التى ذكرت فيها .

٥ – تحقيق الأحاديث ، وبيان الصحيح والضعيف ، بعد النظر فى أسانيدها .

٦ – بيان المفردات الغريبة ، كما تناولت الأحاديث بالشرح والتعليق .

٧ – فى كثير من الأبواب التى ذكر فيها المؤلف أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، قمت بذكر بعض الأحاديث من صحيح السنة والتى تغنى عما ذكر المؤلف من الأحاديث الضعيفة .

وأخيرًا أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينفع بهذه الرسالة عباده المؤمنين ، وأن يجعل لنا من وراء عملنا فيها الأجر والثواب الذى ننتفع به يوم الحساب ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبـه

أبو محمد/ السيد بن إبراهيم بن مصطفى أبو عمـه

ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى
(٣٧٦ هـ - ٤٦٥ هـ)

قال الذهبي في السير : هو الإمام الزاهد ، القدوة ، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة القشيرى ، الخراسانى ، النيسابورى ، الشافعي ، الصوفى ، المفسر ، صاحب الرسالة .

وقال ابن كثير : أمه من بنى سليم .

مولده وسيرته وطلبه للعلم :

ولد فى شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، مات أبوه وهو طفل ، فدفع إلى الأديب أبى القاسم اليمنى فقرأ عليه الآداب ، وذهب أبو القاسم إلى نيسابور لكى يتعلم الحساب ، لكى يدير ضيعته التى تركها له أبوه ، ولما دخل نيسابور وافق مجلس أبى على الدقاق ، واسمه أبو الحسن بن على النيسابورى فتعلق به ، وتأثر حتى عزم على ترك تعلم الحساب والمواظبة على دروس أبى على بدلًا من ذلك ، فأقبل عليه أبو على وأشار عليه بطلب العلم ، فسمع الحديث من أبى الحسين أحمد بن محمد الخفاف ، ومن أبى نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني ، وجماعة آخرين من أهل الحديث فى وقته .

وتفقه على أبى بكر محمد بن أبى بكر الطوسى ، والأستاذ أبى إسحاق الإسفراييني ، وابن فورك ، وتقدم فى الأصول والفروع .

قال القاضى ابن خلكان : كان أبو القاسم علامة فى الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والأصول ، والأدب ، والشعر ، والكتابة ، وحج مع الحافظ أبى بكر البيهقى .

وكان أبو القاسم عديم النظير فى السلوك والتذكير ، لطيف العبارة ، طيب الأخلاق ، غواصًا على المعانى . لزم المجاهدة وتخرج به المريدون .

ذكر بعض مصنفاته :

صنف أبو القاسم العديد من المصنفات ، من ذلك :

١ - التفسير الكبير - وسماه (التيسير فى علم التفسير) .

٢ - وصنف (الرسالة) فى رجال الطريقة وتسمى (الرسالة القشيرية) .

٣ - لطائف الإشارات .

٤ - الأربعين فى تصحيح المعاملة (وهى التى نقدم لها الآن)(*) .

بعض مصادر ترجمته :

١ - الأعلام (٧٥/٤) .

٢ - وفيات الأعيان (٢٠٥/٣) .

٣ - سير أعلام النبلاء (٢٢٧/١٨) .

٤ - البداية والنهاية (١١٥/١٢) .

(*) كل المصادر تتحدث أنها بالإسناد إلا أن النسخة التى وقعنا عليها بدون أسانيد وهذا تنبيه لئلا يُظن أن حذف الأسانيد كان من جانبنا .

(*) من وضع المحقق .

وصف المخطوطة وتوثيقها

من بين عشرات الآلاف من المخطوطات النادرة فى دار الكتب المصرية ، انتقينا لك أخى القارىء هذه المخطوطة الطيبة ، عظيمة النفع ، محققة الفائدة — إن شاء الله تعالى — لنضعها بين يديك بعد أن قمنا بتحقيقها والتعليق عليها ، عسى الله أن ينفع بها المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأن ينفعنا بها يوم المآب والحساب ... آمين .

وهذه المخطوطة التى نقدمها للقارىء الكريم قد نسبها إلى صاحبها غير واحد من العلماء الذين اهتموا بهذا الفن ، فمنهم حاجى خليفة صاحب كتاب « كشف الظنون » حيث ذكر فى الجزء الأول من كتابه ص ٥٨ : الأربعين للقشيرى وهو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٥ . ومنهم الأستاذ عمر رضا كحالة فى مؤلفه « معجم المؤلفين » جـ ٦ ، ص ٦ فقد ذكر بعض مؤلفاته ومنها : وأربعون حديثًا . وبهذا تطمئن النفس إلى أصالة المخطوطة فى اتصالها بصاحبها ، ونسأل الله أن ينفع بها المسلمين أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام زين الدين (الإسلام) أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيرى – رضى الله عنه –:

مقدمة المصنف :

الحمد لله ناصر دينه ، وموضح الحق بحجته وبراهينه ، الذى أرسل رسوله بالهدى ، وأوجب طاعته على كافة الورى صلى الله عليه وعلى آله وعترته وأصحابه وزمرته ، أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى جعل محمدًا نبيه خاتم أنبيائه ، وحفظ ملته بالراشدين من خلفائه ، وجعلهم ورثته فى حراسة قبضة الدين ، والذب عن الحوزة(٥) بواضح التبيين .

---

(٥) الحوزة : الحدود ، والحرمة ، والنواحى .

– الحـديث الأول –

ولقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو سعيد الخدرى قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فما ترك شيئًا دون الساعة إلا أخبرنا به ، **حفظه من حفظه** ، ونسيه من نسيه ، ثم قال :

« نضر الله عبدًا سمع مقالتى فوعاها ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » فبدهم(٧) إلى حفظ ما يقول ونقله إلى غيرهم .

---

(٦) **حديث صحيح** : وللحديث طرق عن عدة من الصحابة كما يلى :

أولًا : من طريق أبى سعيد :

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٣٧/١) رواه البزار وقال : رجاله موثقون ، إلا أن يكون شيخ سليمان بن سيف ، سعيد بن بزيغ ، فإنى لم أر أحدًا ذكره ، وإن كان سعيد ابن الربيع فهو من رجال الصحيح .

ثانيًا : من طريق زيد بن ثابت – رضى الله عنه –:

رواه أحمد (١٨٣/٥) ، والترمذى رقم (٢٦٥٦) ، وأبو داود رقم (٣٦٦٠) وهو حديث صحيح .

ثالثًا : من طريق أنس – رضى الله عنه –:

رواه أحمد (٢٢٥/٣) ، وابن ماجه رقم (٢٣٦) من حديث أنس وهو صحيح بشواهد الأحاديث الواردة فى الباب .

رابعًا : حديث ابن مسعود – رضى الله تعالى عنه –:

رواه الترمذى رقم (٢٦٥٧ و٢٦٥٨) ، وابن ماجه رقم (٢٣٢) ، وأحمد (٤٣٧/١) ، وفيه سماك بن حرب وهو حسن الحديث ، والحديث صحيح بشواهد الأحاديث التى فى الباب .

خامسًا : طريق جبير بن مطعم :

رواه ابن ماجه رقم (٢٣١) ، وأحمد (٨٠/٤ ، ٨١) وللحديث شواهد كثيرة أوردها الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٣٧/١) وما بعدها .

٧ – فبدهم : بده أجاد وأحسن القول .

التعليق على الحديث :

(نضر الله امرأ) بتشديد الضاد وتخفيفها .

قال الخطابى : دعاء له بالنضارة ، وهى النعمة . يقال : نضَّر ونضر : من النضارة ، وهى فى الأصل حسن الوجه والبريق ، وأراد حسن قدره .

والمراد ألبسه الله النضرة ، وهى الحسن وخلوص اللون ، أى جمله وزينه وأوصله الله إلى نضرة الجنة ، أى نعيمها ونضرتها ، قال ابن عيينة : ما من أحد يطلب الحديث إلا وفى وجهه نضرة ، لهذا الحديث .

وقوله ﷺ : « **فرب حامل فقه ليس بفقيه** » بين أن راوى الحديث ليس الفقه من شروطه ، إنما شرطه الحفظ والتبليغ ، وفيه بيان أن الفهم والتدبر والفقه من النعم التى يخص بها الله - عز وجل - بعض عباده دون بعض .

الحديث الثانى

وقال ﷺ فيما رواه ابن عباس : « **من أدى إلى أمتى حديثا واحدًا يقيم به سنة ، ويرد به بدعة ، فله الجنة** »[٨] .

---

٨ - **حديث موضوع** :

رواه أبو نعيم فى الحلية (١٠/٤٤) من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما -، وفى الإسناد إسماعيل بن يحيى التيمى ، وهو كذاب يضع الحديث ، نقل الذهبى ذلك فى الميزان عن صالح بن محمد جزرة ، والأزدى ، والدارقطنى ، والحاكم . انظر : الميزان (١/٢١٣) ، ولسان الميزان (٤٩٣) ، والكامل لابن عدى (١/٢٠٢) .

ولفظ أبى نعيم : (أو يثلم به بدعة) بدلًا من (يرد به بدعة .

الحـديث الثـالث

وعن بلال بن الحارث أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

من أحيا سنة من سنتى أميتت من بعدى فإن له من الأجر مثل من عمل بها من الناس ، لا ينقص من أجورهم شيئًا ، ومن ابتدع بدعة لا ترضى الله ورسوله فإن له مثل إثم من عمل بها من الناس ، لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئًا »[9] .

---

٩ - حديث ضعيف :

ولم أقف عليه من حديث بلال بن الحارث - رضى الله عنه -، وإنما رواه الترمذى رقم (٢١٧٧) أن النبى ﷺ قاله لبلال بن الحارث ، ورواه ابن ماجه أيضًا رقم (٢٠٩) كلاهما من حديث عمرو بن عوف المزنى - رضى الله عنه - مرفوعًا .

قلت : وإسناده ضعيف ، فإنه من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه . وكثير ضعيف ، وأبوه مقبول .

غير أن الحديث قد ثبت معناه من حديث جرير بن عبد الله - رضى الله عنه - مرفوعًا بلفظ : « من سن فى الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىءٌ . ومن سن فى الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » .

وهذا حديث صحيح رواه مسلم رقم (١٠١٧) وفى غير موضع من الصحيح ، ورواه النسائى (٥/٧٥ ، ٧٦) ، وابن ماجه رقم (٢٠٣) ، وأحمد (٤/٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢) .

وله شاهد صحيح من حديث أبى هريرة مرفوعًا ، رواه مسلم رقم (٢٦٧٤) ، وابن ماجه رقم (٢٠٤) .

وانظر مقدمة ابن ماجه باب رقم (١٤) باب : من سن سنة حسنة .

الحـديث الرابـع

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« من حفظ على أمتى أربعين حديثًا مما يحتاجون إليه ، كتبه الله فقيهًا عالمًا »(١٠) .

---

١٠ – **حديث موضوع : قال الشوكانى فى الفوائد المجموعة (ص ٢٩٠) حديث رقم ٦٩ فى كتاب العلم : رواه ابن عبدالبر وضعفه ، وقال فى الذيل : هو من أباطيل إسحاق الملطى.**

وقال فى المقاصد : طرقه فى جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة. وقال البيهقى: هو متن مشهور وليس له إسناد صحيح . اهـ .

قلت : ورواه ابن حبان فى المجروحين (٢/١٣٣) من حديث أُبى – رضى الله عنه – مرفوعًا ، وزاد عليه : « وكنت له شافعًا وشهيدًا » وهذا الحديث موضوع إذ فى إسناده عبد الملك بن هارون بن عنترة .

قال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث . وقال يحيى : كذاب . وقال أبو حاتم : متروك ذاهب الحديث .

الحـديث الخـامس

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة ، كنت له شفيعًا يوم القيامة »(١١) .

□ التعليـق على الحـديث :

وبمقتضى هذه الأخبار أثبتنا في هذا المختصر أربعين بابًا من تصحيح المعاملة من العبد في أحكام الرياضة ، ومعالجة الأخلاق الحسنة ، وروينا من كل باب خبرًا ، وربما نذكر في بعض الأبواب أكثر من خبر واحد .

ونسأل الله تعالى أن يوفق من سمعه لاستعماله ، وأن يعصمنا من الزلل والخطل ، في القول والعمل ، وأن يختم لنا بالحسنى ، فإنه الولي المولى .

---

١١ - حديث موضوع :

رواه ابن عدى (١/٣٣٠) ، وابن حبان في المجروحين (١/١٣٤) . وأورده في الميزان (٢٠١/١) للذهبي . وفي الإسناد إسحاق بن نجيح الملطي وهو كذاب وضاع ، كما قال أحمد ويحيى بن معين والفلاس وغيرهم . انظر : الميزان للذهبي في الموضع المشار إليه قبل ، وأما ابن حبان فقال في المجروحين : هو دجال من الدجاجلة ، وكان يضع الحديث صراحًا .

وللحديث إسناد ثان :

رواه ابن عدى في الكامل (٣/١٨) وأورده الذهبي في الميزان (١/٤٤٦) ، وفي الإسناد خالد بن يزيد العمرى أبو الهيثم ، قال الذهبي في الميزان : كذبه أبو حاتم ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الأثبات .

وانظر : العلل المتناهية (١/١١٩) فقد ذكر أحاديث من حفظ أربعين حديثًا من حديث على ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، وأبي أمامة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وجابر بن سمرة ، وأنس ، وبريدة . وكلها بأسانيد واهية .

البـــاب الأول : فى طلب العلم

أول ما يجب على العبد إذا سلك طريق العبودية طلب قدر من العلم ، يصحح به اعتقاده فى التوحيد .

الحـــديث الســـادس

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« اطلبوا العلم ولو بالصين ، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم »(١٢) .

---

١٢ - حديث موضوع :

هذا الحديث بتمامه قال فيه الألبانى فى السلسلة الضعيفة رقم (٤١٦) : موضوع . وعزاه لابن عدى فى الكامل ، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (١٠٦/٢) ، والخطيب فى التاريخ (٣٦٤/٩) ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (٧/١ - ٨) ، وغيرهم من طريق الحسن ابن عطية ، ثنا أبو عاتكة طريف بن سليمان عن أنس مرفوعًا ، وأبو عاتكة هذا متروك ، ذاهب الحديث . انظر ترجمته فى الميزان (٣٣٥/٢) ، وابن حبان فى المجروحين (٣٧٨/١) .

لكن الجزء الأخير من الحديث وهو قوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » صحيح ، قد ورد من طرق يقوى بعضها بعضًا : انظر : صحيح الجامع للألبانى رقم (٣٩١٣) .

الحـديث السـابع

وعن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الله أوحى إلىّ أنه من سلك مسلكًا فى طلب العلم سهل له طريق الجنة ، ومن سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة ، وفضلٌ فى علم خير من فضل فى عبادة ، وملاك الدين الورع »(١٣) .

□ التعليـق على الحـديث :

قوله ﷺ : « من سلك مسلكا فى طلب العلم سهل ... » فيه الحث على طلب العلم بكل وسيلة ، وذلك بالذهاب إلى العلماء ، والبحث عن دقائق مسائله ، وتعلم أحكام الحلال والحرام ، ودراسة القرآن الكريم مع تلاوته ،

---

١٣ – حديث صحيح : ولم أقف على إسناده لأنه فى شعب الإيمان للبيهقى كما عزاه غير واحد وإنما قلت صحيح لأن أجزاءه وردت مفرقة فى أحاديث صحيحة كما يلى :

ه الجزء الأول : « من سلك مسلكا فى طلب العلم ... » ثبت فى عدة أحاديث صحيحة ، منها ما رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) ، والترمذى رقم (٢٦٤٦) ورقم (٢٩٤٥) ، وأحمد (٢/٢٥٢ ، ٣٢٥ ، ٤٠٧) كلهم من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا .

ه الجزء الثانى : « من سلبت كريمتيه ... » فقد رواه البخارى رقم (٥٦٥٣) ، والترمذى رقم (٢٤٠٠) ، وأحمد (٣/١٤٤) من حديث أنس بن مالك – رضى الله عنه – مرفوعًا .

ورواه الترمذى رقم (٢٤٠١) ، وأحمد (٢/٢٦٥) من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا .

ومعنى كريمتيه : يقصد عينيه .

ه والجزء الثالث من الحديث فقد ثبت بإسناد صحيح . انظر : صحيح الجامع للشيخ الألبانى رقم (٤٢١٤) .

ومعرفة الحديث النبوى الشريف ، وما فيه من المعانى والأحكام ، ثم إذا علم المسلم من أمر دينه شيئًا عمل به وبمقتضاه أمرًا ونهيًا ، فيفعل المأمور ، ويترك المحظور ، ويقصد بذلك الإخلاص لله عز وجل ، والنجاة من المساءلة بين يديه سبحانه وتعالى .

فمن طلب العلم متحريًا الإخلاص لله ، قاصدًا التعلم من أجل العمل ، فإنه يزداد خشية وقربًا من الله عز وجل ، ويزداد ثقة به سبحانه وتعالى ، فالعلم فيه الهداية وتنوير القلب ، والعلم يدعو إلى الورع ، ويبعد صاحبه عن الفتن ، والكبر ، والخيلاء .

وبالجملة فإنه ليس هناك من فضيلة إلا والعلم أساس فعلها ، وليس هناك من رذيلة إلا والعلم أساس البعد عنها واجتنابها ، فالعلم أساس كل خير ، وهو أيضًا يجلب استغفار المخلوقات لطالب العلم ، كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح الذى فيه : « وإن طالب العلم يستغفر له كل شىء ، حتى الحيتان فى البحر » .

فإذا كان أمر العلم من الفضائل ما ذكرت ، وما لم أذكر ، فإنه يصبح من أوسع الأبواب وأقرب الطرق المؤدية إلى الجنة .

وقوله ﷺ : « ومن سلبت كريمتيه أثبته عليها الجنة » والكريمتان : هما العينان ، وهما الحبيبتان ، لأنهما أحب أعضاء الإنسان ، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه .

فالمؤمن الذى يصبر على فقد عينيه ، مستحضرًا ما وعد الله به الصابرين من الثواب ، لا أن يصبر مجردًا عن ذلك ، فإن له الجنة على صبره هذا ، عوضًا عن فقد عينيه فى الدنيا ، وهذا أعظم العوض ، لأن التلذذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا ، والالتذاذ بالجنة باق ببقائها .

وقوله ﷺ : « وملاك الدين الورع » .

وملاك الشىء : خلاصته ، وملاك الشىء أيضًا : ما يمكن أن تملكه به ، وتمسك بزمامه ، وتحافظ عليه بسهولة .

والورع : هو ترك ما ليس به بأس ، حذرًا مما به بأس ، فالورع اسم يطلق على الوازع الباطنى الداخلى ، الذى يحمل صاحبه على فعل المأمور ، وترك المحظور ، ومجانبة الشبهات التى يخشى من ورائها الوقوع فى الحرام .

تعقيب على الباب الأول(*)

أورد المؤلف - رحمه الله تعالى - فى هذا الباب أحاديث فى ذكر فضل طلب العلم ، وفضيلة حملته وحفاظه ، وهى تدور بين الضعيف ، والموضوع ، ولم يسلم منها إلا القليل ، وكان يكفى المؤلف إيراد الأحاديث الصحيحة ، التى ثبتت فى الحث على طلب العلم ، ولقد رأينا من المناسب والمفيد ألا نفوت على القارئ فرصة الوقوف على بعض هذه الأحاديث الصحيحة .

ثبت فى مسند الإمام أحمد (١٩٦/٥) ، وسنن أبى داود رقم (٣٦٤١) ، والترمذى رقم (٢٦٨٢) ، وابن ماجه رقم (٢٢٣) من حديث أبى الدرداء : « من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا ، سلك الله به طريقًا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ، ومن فى الأرض ، والحيتان فى جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ، ولا درهمًا ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » وهو حديث صحيح .

وثبت فى صحيح البخارى رقم (٧١) وفى غير موضع ، وفى صحيح مسلم رقم (١٠٣٨) من حديث معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين » .

(*) من وضع المحقق .

الباب الثانى : التوبة

فإذا صحح العبد فى التوحيد عقده ، وأخلص إلى الله قصده ، فأول منزل من منازل الإرادة ، التوبة .

الحديث الثامن

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

« أيفرح أحدكم براحلته إذا ضلت منه ثم وجدها ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « والذى نفسى بيده ، لله أشد فرحًا بتوبة عبده إذا تاب من أحدكم براحلته إذا وجدها »[١٤] .

قال الشيخ أبو القاسم القشيرى – رحمه الله تعالى –: الفرح فى صفته سبحانه وتعالى محمول على الإحسان إلى العبد وإكرامه[١٥] .

---

(١٤) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (٢٦٧٥) من طرق وبألفاظ . والترمذى رقم (٣٥٣٨) ، وابن ماجه رقم (٤٢٤٧) ، وأحمد (٣١٦/٢ ، ٥٠٠ ، ٥٢٤ ، ٥٣٤) من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا وله ألفاظ أحدها الوارد فى الرسالة أعلاه . واللفظ المذكور هو لفظ أحمد (٣١٦/٢) .

وقد صح من عدة طرق ؛ منها عن أنس وابن مسعود والنعمان بن بشير – رضى الله عنهم أجمعين – انظر : صحيح مسلم فى الموضع المشار إليه أعلاه (٢١٠٢/٤)

(١٥) أما قوله : (والفرح فى صفته سبحانه وتعالى محمول على الإحسان إلى العبد وإكرامه) .

هذا الكلام خطأ لا يجوز اعتقاده ؛ لأنه تأويل لصفة من صفات الله – عز وجل – وهى صفة الفرح . وهذا التأويل مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة فى باب الأسماء والصفات . والصواب عند أهل السنة والجماعة هو إمرار آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ التى تتكلم عن أسماء الله تعالى وصفاته ، دون تأويل لها ولاتكييف ولاتشبيه لصفاته =

□ **التعليـق على الحـديث :**

هذا الحديث ضربَ مثلًا لتقريب المعنى الذى أراد النبى ﷺ إبلاغه ، وهو أن الله عز وجل يرضى عن عبده التائب الراجع الآيب إليه ، ويفرح بذلك الرجوع وتلك التوبة فرحًا يليق بالله عز وجل ، وهذا الفرح أشد من فرحة ذلك الإنسان الذى كان معه دابته التى عليها الطعام والشراب ففقدها فى صحراء قاحلة مهجورة من البشر ، وأيس من أن يجدها فأيقن بالهلاك المحقق ، فهو لا ظهر له ، ولا طعام ولا شراب ، ولا أنيس ، ولا جليس ، فالموت ولا شىء غيره ، فبينما هو على الحالة الموصوفة ، قال : أنام فى مكانى هنا حتى يدركنى الموت ، أو يجعل الله لى مخرجًا ، فبينما هو كذلك ، إذا راحلته عند رأسه بما عليها من الزاد والماء ، فأى فرحة تكون فرحة هذا الرجل ، لا شك أن فرحته لا تعادلها فرحة ، فالله تبارك وتعالى أعظم بتوبة عبده ، من فرح هذا الرجل برجوع دابته إليه .

والفرح الذى يفرحه الله عز وجل بتوبة التائب حق وصدق ، نثبته كما ورد فى النص بلا تأويل ، ولا تشبيه ، ولا تكييف ، ولا تعطيل ، فهو سبحانه وتعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[16] .

= سبحانه - بصفات خلقه . ونؤمن بها كما وردت . ولذا فإننا نؤمن بأن الله تعالى يفرح كما أخبر بذلك رسوله ﷺ وليس فرحه كفرح المخلوقين فهو ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾ . ولا نتعرض لها بتأويل ولا نقول المقصود من الفرح هو الإحسان كما قال المصنف ؛ فإن هذا خطأ كما سبق أن بينت والله الموفق .

(١٦) سورة الشورى : الآية ١١ .

الحـديث التـاسع

عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ ، فيما يحكى عن ربه عز وجل ، قال :

« **أذنب عبد ذنبًا ، فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبًا ، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أى رب اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى : عبدى أذنب ذنبًا ، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أى رب اغفر لى ذنبى . فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، اعمل ما شئت ، فقد غفرت لك** »(١٧) .

□ **التعليـق على الحـديث :**

هذا حديث عظيم القدر ، عظيم النفع ، والفائدة ، دال على سعة رحمة الله ، وعظيم حلمه ومغفرته للذنوب ، وإن كانت عظيمة ، وإن تكرر وقوعها ، ما دام العبد دائم التوبة ، والرجوع إلى ربه وخالقه ، دائم الندم على تفريطه وتقصيره .

وهذه صورة لذلك الرجل المقراف للذنوب ، الذى يستزله الشيطان المرة بعد المرة ، ولكنه لا يتمادى فى ذنبه ومعصيته ، بل هو تائب إلى ربه منكسر قلبه ، متحسر على ما بدر منه ، فالله عز وجل يقبل منه توبته ، ويغفر زلته ، ولو تكرر خطؤه ، ما دام يتبع الذنب بالتوبة ، والخطأ بالندم ، والتفريط بالتحسر ، وانكسار القلب ، ورجوعه وإنابته إلى ربه وخالقه .

وهذا معنى قوله تعالى فى الحديث : « **اعمل ما شئت فقد غفرت لك** » أى ما دام الحال ذنب وتوبة ، وذلك لأن التوبة تجب وتمحو ما قبلها .

فنسأل الله العظيم أن يتولانا بعنايته ، ويتغمدنا برحمته ، وأن يعيننا على التوبة ، وأن يقبلها منا ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

---

(١٧) **حديث صحيح :**

رواه البخارى رقم (٧٥٠٧) ، ومسلم رقم (٢٧٥٨) ، وأحمد (٢/٢٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤٩٢) كلهم من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا .

الباب الثالث : الحياء

ومن الأسباب التي تحمل العبد على صدق التوبة ، استحياؤه من اطلاع الحق عليه في جميع أحواله .

الحديث العاشر

عن ابن مسعود أن نبي الله ﷺ قال ذات يوم :

« استحيوا من الله حق الحياء » قالوا : إنا نستحي يا نبي الله والحمد لله . قال : « ليس ذاك ، ولكن من استحيا من الله حق الحياء ، فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ، ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء »(١٨) .

---

(١٨) حديث ضعيف :

رواه الترمذي رقم (٢٤٥٨) ، وأحمد (٣٨٧/١) ، والحاكم (٣٢٣/٤) من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعًا . وقال الترمذي : حديث غريب . وهو كما قال كما سنبين بعد إن شاء الله .

وأما الحاكم فقال : صحيح ووافقه الذهبي .

قلت : وفي الإسناد الصباح بن محمد وهو ضعيف وقد تفرد به كما أشار الترمذي - رحمه الله تعالى - بقوله (غريب) .

قال ابن حبان في المجروحين (٣٧٣/٢) عن الصباح بن محمد يروي عن الثقات الموضوعات وهو الذي روى عن مرة عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ : « استحيوا من الله حق الحياء » . ونقل هذا الكلام الذهبي في الميزان (٣٠٦/٢) وقال : ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكره بجرح ولا تعديل .

ه هذا وقد ثبت في فضل الحياء أحاديث كثيرة صحيحة تغني عن هذا الحديث الضعيف من ذلك ما ثبت في صحيح البخاري رقم (٢٤) ، ومسلم رقم (٣٦) ، وأبو داود (٤٧٩٥) ، والنسائي (١٢١/٨) وغيرهم حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الحياء من الإيمان » .

- - - - - - - - - - - - -

• وثبت فى صحيح البخارى رقم (٩) ، ومسلم رقم (٣٥) ، وأبو داود رقم (٤٦٧٦) ، والترمذى رقم (٢٦١٤) ، والنسائى (١١٠/٨) ، وابن ماجه رقم (٥٧) ، وأحمد (٤١٤/٢ ، ٤٤٢) من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « الحياء شعبة من الإيمان » .

• وثبت فى صحيح البخارى رقم (٦١١٧) ، ومسلم رقم (٣٧) ، وأحمد (٤٢٦/٤ ، ٤٢٧) وفى مواضع أخرى من حديث عمران بن حصين – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « الحياء لا يأتى إلا بخير » . وفى رواية لمسلم : « الحياء خير كله » .

والحياء المراد فى هذه الأحاديث ما يكون شرعيًّا ، والحياء الذى ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياءً شرعيًّا بل هو عجز ومهانة ، وإنما يطلق عليه حياءً لمشابهته للحياء الشرعى ، وهو – أى الحياء الشرعى – خُلق يبعث على ترك القبيح . وهذا الحياء نوعان : غريزى فطرى يولد به الإنسان . والنوع الثانى نوع مكتسب . قال أبو العباس القرطبى : والحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الإيمان ، وهو المكلف به دون الغريزى ، غير أن من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب وقد ينطبع بالمكتسب حتى يصير غريزيًّا . قال : وكان النبى ﷺ قد جمع له النوعان فكان فى الغريزى أشد حياءً من العذراء فى خدرها وكان فى الحياء المكتسب فى الذروة العليا ﷺ (انتهى باختصار من فتح البارى [٥٣٩/١٠]) .

وإذا كان الحياء هو الخلق الحامل على ترك القبائح . فإن القبائح كلها قد نهى الشرع عنها فلذا كان : الحياء من الإيمان . لأن ترك المنهيات من الإيمان ، فلذلك كان الحياء كذلك . ولأن الحياء من الإيمان فهو لا يأتى لصاحبه وللمجتمع إلا بالخير فصاحبه دائمًا فاعل للخير قوال له ، داعية إليه .

الباب الرابع : إرضاء الخصوم

ومن كمال توبته إرضاء الخصم بما أمكنه .

الحديث الحادى عشر

عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« لرد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين حجة مبرورة »(١٩) .

□ التعليق على الحديث :

هذا وقد ثبت التشديد فى تحريم الظلم ، ووجوب رد المظالم إلى أهلها فى أحاديث كثيرة صحيحة ، من ذلك ما يأتى :

* ثبت فى صحيح البخارى رقم (٢٤٥٢) من حديث سعيد بن زيد - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين » .

---

(١٩) حديث موضوع :

رواه ابن عدى فى الكامل (٣٤٤/١) فى ترجمة إسحق بن وهب الطهرمسى . وقال : وهذا الحديث مع حديثين آخرين حدث به إسحاق بن وهب عن ابن وهب ، عن مالك عن نافع عن ابن عمر ، وهذه الأحاديث بواطيل .

وقال ابن عدى : روى عن ابن وهب مناكير وما أظنه رآه . وقال ابن حجر فى لسان الميزان (٣٧٨/١) . قال الدارقطنى : كذاب متروك يحدث بالأباطيل . وذكر ابن حجر هذا الحديث الذى أورده المصنف فى الباب أعلاه ثم قال : هكذا فليكن الكذب .

وقال ابن حبان فى المجروحين (١٣٩/١) . وقال : كان يضع الحديث صراحا ولا يحل ذكره فى الكتب إلا على سبيل القدح فيه . وذكر له هذا الحديث . وكذا قال الذهبى فى الميزان (٢٠٣/١) ، واللآلئ المصنوعة (١٦٣/٢) ، وكشف الخفاء (٥١٦/١) .

وثبت أيضًا من حديث عائشة عند البخارى رقم (٢٤٥٣) أن رسول الله ﷺ قال : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » .

ومعنى (طوقه) : أمران ؛ الأول : أن معناه ، أنه يكلف نقل ما ظلم منها فى يوم القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق فى عنقه .

والثانى : معناه ، أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين أى فتكون كل أرض فى تلك الحال طوقًا فى عنقه . انتهى .

* وثبت فى صحيح البخارى رقم (٢٤٤٩) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

الباب الخامس : حفظ اللسان عما لا يجوز

الحديث الثانى عشر

عن أبى شريح الخزاعى أن النبى ﷺ قال :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت »(٢٠) .

□ التعليق على الحديث :

هذا الحديث الشريف يبين ويوضح ثلاث شعب من الشعب التى يكتمل بها الإيمان ويزداد فى قلب العبد ؛ وهذه الشعب هى : الإحسان إلى الجار ، وإكرام الضيف واقرائه ، والثالثة هى : قول الخير أو الصمت عن الكلام مطلقًا .

فالوصية الأولى والشعبة الأولى التى اشتمل عليها الحديث ووصى بها هى قول النبى ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره » فمن كان يؤمن إيمانًا كاملًا تامًا فعليه أن يحسن إلى جاره ، ويحفظ له حقه ، فلا يؤذيه ، ولا يعتدى على حرماته ، ولا يكشف عوراته ، بل لابد أن يستر معايبه ، وأن يتحمل أذاه ، ويواسيه بماله ونفسه إن احتاج إلى المواساة ، وعلى الجار أن يحفظ جاره فى أهله ، وأولاده ، وماله .

وحفظ المسلم أعراض المسلمين ، وأموالهم ، واجب عليهم ، وهو للجار أوجب وألزم .

---

(٢٠) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٠١٩) وفى غير موضع ، ومسلم رقم (٤٨) ، وأبو داود رقم (٣٧٤٨) ، والترمذى رقم (١٩٦٧) ، وابن ماجه رقم (٣٦٧٥) ، وأحمد (٣١/٤) و(٣٨٤/٦ ، ٣٨٥) كلهم من حديث أبى شريح الخزاعى الكعبى ويقال العدوى أيضا – رضى الله عنه – مرفوعًا .

ويحسن للمسلم أن يهدى إلى جيرانه من فضل ماله ، وطعامه ، فإن ذلك مما يؤلف القلوب ، ويزيد الروابط والعلائق قوة ومتانة ، وليبدأ بالإهداء إلى أقرب الجيران إليه بابًا ، فإن حقه أعظم ، وذلك ما ثبت فى صحيح البخارى وغيره عن عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت : قلت : يا رسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أهدى ؟ قال : « إلى أقربهما منك بابًا »(٢١) .

وثبت فى صحيح مسلم عن أبى ذر – رضى الله عنه – قال : « أوصانى خليلى ﷺ إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه ، ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك ، فأصبهم منها بمعروف » . وفى رواية : أن النبى ﷺ قال : « يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، وتعاهد »(٢٢) .

وليحذر المسلم من إيذاء الجار ، ولو كان ذميًّا معاهدًا ، لقول النبى ﷺ الذى ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر – رضى الله عنهما – ومن حديث عائشة – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »(٢٣) .

---

(٢١) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٢٢٥٩) . وفى غير موضع من الصحيح ، وأبو داود رقم (٥١٥٥) ، وأحمد (١٧٥/٦ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٣٩) كلهم من حديث عائشة – رضى الله عنها – مرفوعًا .

(٢٢) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (٢٦٢٦) ، والترمذى رقم (١٨٣٣) ، وابن ماجه رقم (٣٣٦٢) ، وأحمد (١٤٩/٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٧١) كلهم من حديث أبى ذر الغفارى – رضى الله عنه – مرفوعًا .

(٢٣) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٠١٤) ، ومسلم رقم (٢٦٢٤) ، وأبو داود رقم (٥١٥١) ، والترمذى رقم (١٩٤٢) ، وابن ماجه رقم (٣٦٧٣) ، وأحمد (٥٢/٦ ، ٩١ ، ١٢٥ ، ١٨٧ ، ٢٣٨) من حديث عائشة – رضى الله عنها – مرفوعا . ورواه البخارى رقم (٦٠١٥) ، ومسلم رقم (٢٦٢٥) ، وأحمد (٨٥/٢) من حديث ابن عمر – رضى الله عنهما – مرفوعًا .

ولقول النبى ﷺ : « أول خصمين يوم القيامة جاران »[٢٤] .

ومن إحسان الجوار أن يمكن الجارُ جاره من الانتفاع بجداره ، ما لم يؤد ذلك إلى الضرر المحقق للجدار ، لما ثبت عنه ﷺ فى الصحيحين أنه قال : « لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة فى جداره »[٢٥] .

والوصية الثانية فى هذا الحديث والشعبة الثانية من شعب الإيمان التى جاء بها هذا الحديث هى إكرام الضيف .

وإكرام الضيف حق على المسلم لأخيه المسلم ، ومن أعظم الإكرام لقاء الضيف بوجه طلق ، وتقديم الطعام والشراب الميسورُ لأهل البيت ، وتوفير المبيت إن أمكن .

والوصية الثالثة فى الحديث هى الحث على قول الخير ، الذى يتضمن المأمور به فى الشرع ؛ من تلاوة القرآن ، والذكر ، والنصح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والكلام الذى فيه النفع فى الدنيا والآخرة .

وإذا عجز العبد عن قول الخير والحق فليلزم الصمت ، فإن الصمت خير من قول الفحش والشر ، وليحذر العبد من الآفات التى يمكن أن يجرها اللسان عليه إن هو أطلق له العنان ، وقد حذر الرسول ﷺ من خطورة الكلمة فى أحاديث كثيرة ثبتت عنه ﷺ ، من ذلك ما ثبت عن النبى ﷺ من حديث أسود بن أصرم المحاربى – رضى الله عنه – قال : قلت : يا رسول الله أوصنى ،

---

(٢٤) حديث حسن :

رواه أحمد (٤/١٥٥) ، والطبرانى (١٧/٣٠٣ ، ٣٠٩) من حديث عقبة بن عامر الجهنى – رضى الله عنه – مرفوعًا .

(٢٥) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٢٤٦٣) وفى غير موضع من الصحيح ، ومسلم رقم (١٦٠٩) ، وأبو داود رقم (٣٦٣٤) ، والترمذى رقم (١٣٥٣) ، وابن ماجه رقم (٢٣٣٥) ، وأحمد (٢/٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٣٢٧ ، ٣٩٦ ، ٤٤٧ ، ٤٦٣) كلهم من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا .

قال : « هل تملك لسانك ؟ » قلت : وما أملك إذا لم أملك لسانى ؟! قال : « فهل تملك يدك ؟ » قلت : فما أملك إذا لم أملك يدى ؟ قال : « فلا تقل بلسانك إلا معروفا ، ولا تبسط يدك إلا إلى خير »[٢٦] .

* وثبت فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالًا ، يهوى بها فى جهنم »[٢٧] .

* وثبت فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها ، يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب »[٢٨] .

---

(٢٦) حديث صحيح :

رواه الطبرانى فى الكبير رقم (٨١٧ ، ٨١٨) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (٤٤٤/١/١) ، وابن أبى الدنيا فى الصمت رقم (٥) ص ٣٦ كلهم من حديث أسود ابن أصرم المحاربى - رضى الله عنه - مرفوعًا .

(٢٧) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٤٧٧) ، ومسلم رقم (٢٩٨٨) ، وأحمد (٣٧٩/٢) كلهم من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعًا .

(٢٨) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٤٧٨) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعً .

الباب السادس : هجران إخوان السوء

ومن كمال التوبة هجران إخوان السوء .

الحديث الثالث عشر

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثل الجليس الصالح مثل العطار ، إن لم تصب من عطره أصبت من ريحه ، ومثل الجليس السوء مثل القَيْن ، إن لم يحرق ثوبك أصابك من ريحه »(٢٩) .

□ التعليق على الحديث :

في هذا الحديث الحث والإرشاد إلى مجالسة الصالحين الأخيار ، الذين ينتفع المسلم بمجالستهم والاختلاط بهم ، فهم يذكرون المسلم بالخير إذا هو نسي ، ويعرفونه إذا هو جهل ، ويعينونه إذا هو عمل ، فهؤلاء الصالحون ناصحون لجليسهم في كل حال ، دالون له على الخير ، النافع له في الحال والمآل .

فليحرص العبد على أن يصاحب أهل الإيمان والتقى فلعله ينتفع منهم بشيء يوصله إلى رضا الله سبحانه وتعالى فإذا لم يستفد منهم بشيء ، فإنهم لن يدلونه على ما يضره ، ومثل هؤلاء الصالحين في جلوسهم ، كمثل بائع المسك ، فإن جليسه يستفيد منه على كل حال ؛ وذلك أن هذا الجليس ربما يشترى من هذا البائع ، وإن لم يشتر فإن البائع ربما يهبه ويهديه بعض المسك ،

(٢٩) حديث صحيح :

رواه البخاري رقم (٢١٠١ ، ٥٥٣٤) ، ومسلم رقم (٢٦٢٨) ، وأحمد (٤/٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨) كله من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - مرفوعًا .
وأما حديث أنس - رضي الله عنه - فقد رواه أبو داود رقم (٤٨٢٩ ، ٤٨٣٠ ، ٤٨٣١) وإسناده صحيح .

أو يطيبه ، وإذا لم يتم له شراء أو إهداء فإن العطار لا يستطيع أن يحجز ريح عطره عن جليسه .

أما الجليس السوء فهو على العكس من ذلك ؛ فلا يكاد يسلم جليسه من ضرر محقق ، لأنه إما أن يأمر بالمعصية ، ويحث عليها ، ويرغب فيها ، بقوله أو بفعله ، وإن لم يكن شيء من هذا فلن يسلم القلب من الجلوس مع هذا الجليس السيء .

وقد قال كثير من السلف إن مجالسة أصحاب البدع والمعاصى تقسى القلب وتمرضه ، وهذا الجليس السوء مثله كمثل الحداد فمن جلس بالقرب من مكان عمل الحداد ، فإنه ربما أصابه الشرر ، الذى يتطاير من طرْقِ الحديد ، فيصل إلى ثوب الجالس أو بدنه ، وإذا لم يحصل شيء من هذا لا يسلم الجالس من شم الرائحة الكريهة المنبعثة من الفحم المحترق الذى يسخن فيه الحديد .

الباب السابع : قول الرجل ما لا يعنيه

ومن حسن آداب المريد الذى به يتم سلوك طريق الإرادة ، تركه ما لا يعنيه .

الحديث الرابع عشر

عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** »[٣٠] .

---

(٣٠) **حديث صحيح** :

له طرق عن عدة من الصحابة – رضى الله عنهم – منهم أبو هريرة – رضى الله عنه – والحسن بن على وزيد بن ثابت – رضى الله عنهما –.

فأما حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – فقد رواه الترمذى رقم (٢٣١٧) ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٦) . وقال الترمذى : غريب من هذا الوجه . والأصح عندنا أنه من حديث على بن الحسين مرسلًا .

قلت : وفى الإسناد قرة بن عبد الرحمن بن حيوائيل قال ابن حجر فى التقريب : صدوق له مناكير . قلت : وبقية رجاله ثقات .

ولكن للحديث طرق أخرى منها ما رواه أحمد فى مسنده (٢٠١/١ ، والطبرانى فى الكبير رقم (٢٨٨٦) من حديث الحسين بن على – رضى الله عنهما – مرفوعًا . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٨/٨) : رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط والكبير ورجال أحمد والكبير ثقات .

وله طريق آخر من حديث زيد بن ثابت – رضى الله عنه – مرفوعًا . رواه الطبرانى فى الصغير رقم (٨٦٧) وفى الإسناد محمد بن كثير بن مروان . قال الذهبى فى الميزان (٢٠/٤) : قال ابن معين ليس بثقة وأساء الثناء عليه البغوى وقال ابن عدى : روى بواطيل والبلاء منه . وهذا الطريق لا يصح شاهدًا . وله طرق أخرى غير التى ذكرنا .

□ **التعليق على الحديث :**

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب الإسلامى الرفيع الذى يسمو بالنفس ويزكو بأخلاقها ، ومعنى هذا الحديث أن من حَسُنَ إسلامه ، ترك ما لا يعنيه ، من قول وفعل ، واقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال .

ومعنى يعنيه أن تتعلق عنايته به ، ويكون من مقصده ومطلوبه ، والعناية : شدة الاهتمام بالشيء ، يقال : عناه ، يعنيه ، إذا اهتم به وطلبه ، وليس المراد أن يترك ما لا عناية له به ولا إرادة ، بحكم الهوى وطلب النفس ، بل بحكم الشرع والإسلام ، ولهذا جعله من حسن الإسلام ، فإذا حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه فى الإسلام ، من الأقوال والأفعال ، فإن الإسلام الكامل الممدوح يدخل فيه فعل الواجبات وترك المحرمات ، كما قال النبى ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »(٣١) . وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعنى كله ؛ من المحرمات ، أو المشتبهات ، والمكروهات ، وفضول المباحات ، التى لا يحتاج إليها ، فإن هذا كله لا يعنى المسلم إذا كمل إسلامه ، وبلغ درجة الإحسان ؛ وهو أن يعبد الله كأنه يراه ، فمن عبد الله على استحضار قربه ، ومشاهدته بقلبه ، أو على استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه ، فقد حسن إسلامه ، ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه فى الإسلام ، ويشتغل بما يعنيه فيه ، فإنه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله ، وترك كل ما يستحيا منه .

والاستحياء من الله عز وجل يلزم أن تحفظ الأوامر ، والنواهى ، ويلزم أن تسير على الجادة ، وتترك العبث ، واللهو ، والانشغال بما لا يجدى .

---

(٣١) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (١٠ ، ٦٤٨٤) ورواه أبو داود رقم (٢٤٨١) ، والنسائى (١٠٥/٨) . وعنده زيادة : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » ، والدارمى رقم (٢٧١٦) ، وأحمد (١٦٣/٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو – رضى الله عنه – مرفوعًا .

الباب الثامن : ترك ما يشغل عن الله تعالى

ومن آدابهم ترك ما يشغل عن الله تعالى ، فيتركون ما يقرب من القلب حرصه ويشغل عن الرب قربه .

الحـديث الخامـس عشـر

عن عبد الله بن سرجس أن رسول الله ﷺ صلى يومًا على نمرة له فقال لرجل من أصحابه :

« أعطنى نمرتك وخذ نمرتى » . فقال : يا رسول الله نمرتك أجود من نمرتى . فقال : « أجل ولكن فيها خيط أحمر ، فخشيت أن أنظر إليه ، فتفتننى عن صلاتى »[٣٢] .

قال الشيخ – رحمه الله –: النمرة : شملة مخطوطة ، وجمعها : أنمار ، ونمرات .

□ التعليق على الحديث :

قلت : وقد ثبت فى صحيح البخارى ، ومسلم من حديث عائشة – رضى الله عنها –، أن النبى ﷺ صلى فى خميصة لها أعلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما انصرف قال : « اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم ، وائتونى بأنبجانية أبى جهم ، فإنها ألهتنى آنفًا عن صلاتى »[٣٣] . وفى لفظ عند أحمد

(**٣٢**) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/٥١) : وورواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح وقال الهيثمى أيضا فى مجمع الزوائد (٥/١٣٧) : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن طارق وهو ثقة .

(**٣٣**) **حديث صحيح** :

رواه البخارى رقم (٣٧٣) وفى غير موضع من الصحيح ، ومسلم رقم (٥٥٦)، =

وغيره ، قال رسول الله ﷺ : « كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة ، فأخاف أن تفتننى » .

والخميصة : كساء مربع له علمان ، والأنبجانية : هي ثياب أو كساء يتخذ من صوف ، وله خمل ولا علم له ، وهي من أدون الثياب الغليظة ، وسميت كذلك نسبة إلى منبج ؛ وهي مدينة معروفة بالشام .

وفي هذه الأحاديث دلالة على حرص النبي ﷺ على إزالة وإبعاد كل ما يشغل القلب عن الرب تبارك وتعالى ، وخاصة في الصلاة ، التي هي من أعظم العبادات البدنية ، التي فرضها الله عز وجل على عباده ، فها هو ﷺ يسارع بخلع ذلك الثوب الذى فيه الخطوط والأعلام ، وإرساله إلى صاحبه أبي جهم ، الذى كان قد أهداه إلى النبي ﷺ وما ذلك إلا لكي يحصل له تفريغ قلبه عن كل ما يشغله عن الإقبال على ربه .

= وأحمد (٦/٣٧، ٤٦ ، ١٧٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٨) من حديث أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - مرفوعًا .

البـــاب التاسـع : الكسب من الحـــلال

ومن آدابهم تصاونهم عن السؤال ما أمكنهم ، والكسب من الحلال ما فيه كفافهم .

الحـــديث الســـادس عشـــر

عن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ :

« لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه ، خير من أن يسأل الناس أشياءهم ، أعطوه أو منعوه »[٣٤] .

□ التعليـق على الحـديث :

في هذا الحديث الحث على التعفف والبعد عن سؤال الخلق ، وفيه كذلك الحث على التكسب بالعمل في المهن المختلفة ولو كان في هذه المهن تعب ومشقة ، قال ابن حجر في الفتح (٣٩٤/٣) : وفيه الحض على التعفف عن المسألة ، والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق ، وارتكب المشقة في ذلك ، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها ، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ، ومن ذل الرد ، إذا لم يعط ، ولما يدخل على المسؤول من الضيق ، في ماله إن أعطى كل سائل ، وأما قوله : « خير له » فليست بمعنى افعل التفضيل ، إذ لا خير في السؤال مع القدرة على الاكتساب ، والأصح عند الشافعية أن سؤال من هذا حاله حرام ، ويحتمل أن يكون المراد بالخير فيه بحسب اعتقاد السائل ، وتسميته الذي يعطاه خيرًا وهو في الحقيقة شر ، والله أعلم . انتهى .

---

(٣٤) حديث صحيح :

رواه البخاري رقم (١٤٧١) وفي غير موضع . ورواه ابن ماجه رقم (١٨٣٦) ، وأحمد (١٦٧/١) كلهم من حديث الزبير بن العوام - رضي الله عنه - مرفوعًا وقد صح من حديث جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - منهم أبو هريرة وقد أخرج حديثه البخاري رقم (١٤٧٠) وفي غير موضع ، ومسلم رقم (١٠٤٢) ، والترمذي رقم (٦٨٠) ، والنسائي (٩٣/٥) ، وأحمد (٢٤٣/٢ ، ٢٥٧) .

الباب العاشر : الوقوف مع الكفاية

ومن آدابهم الوقوف مع الكفاية فى كل شىء ، وحذف الفضول مما لهم عنه بد .

الحديث السابع عشر

عن معاوية بن جندب قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : ما يكفينى من الدنيا ؟ قال :

« ما يستر عورتك ، ويسد جوعتك ، فإن كان بيت فذاك ، وإن كان حمار فبخ بخ ، وأنت مسؤول عما فوق الإزار »(٣٥) .

---

(٣٥) لم أقف عليه :

ولم أقف على من اسمه معاوية بن جندب فى الصحابة - رضى الله عنهم -. ولعله معاوية بن حيدة وتحرف على بعضهم . ويغنى عنه ما أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٢٥٥ - ٢٥٦) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير صدقة بن الربيع وهو ثقة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٥٦٥٣) من حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - مرفوعًا بلفظ : « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » .

الباب الحادى عشر : بر الوالدين

ومن كمال الدين بر الوالدين .

الحـديث الثامـن عشـر

عن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **الوالد أوسط باب الجنة ، فإن شئت فاحفظ الباب ، أو ضيع** »(٣٦) .

قال الشيخ - رحمه الله -: أوسط باب الجنة أى : خير أبوابها ، فقال : فلان من أوسط قومه أى من خيارهم .

□ **التعليـق على الحـديث :**

إن طاعة الوالدين وبرهما من أفضل الأعمال المؤدية إلى دخول الجنة ، ولقد حث الله عز وجل فى آيات كثيرة على برهما والإحسان إليهما ، من ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾(٣٧) .

---

(٣٦) حديث صحيح :

رواه الترمذى رقم (١٩٠٠) وقال : حديث صحيح ، ورواه ابن ماجه رقم (٢٠٨٩) ورقم (٣٦٦٣) ، وأحمد (١٩٦/٥) و(٤٤٥/٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥١) كلهم من حديث أبى الدرداء - رضى الله عنه - مرفوعًا .

(٣٧) سورة الإسراء : الآية ٢٣ ، ٢٤ .

وقال الله عز وجل : ﴿ **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير** ﴾(٣٨) .

وفى السنة النبوية الثابتة عن خير البرية ﷺ ، أحاديث كثيرة فى الحث على طاعة الوالدين ، وإيجاب ذلك على الأبناء ، من ذلك :

* ما ثبت فى صحيح البخارى من حديث عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال : سألت رسول الله ﷺ ، أى العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » . قال : ثم أى ؟ قال : « ثم بر الوالدين » . قال : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » . قال : حدثنى بهن ، ولو استزدته لزادنى(٣٩) .

* وثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق بحسن صحابتى ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : «أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « ثم أبوك »(٤٠) .

---

(٣٨) سورة لقمان : الآية ١٣ ، ١٤ .

(٣٩) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٥٩٧٠) ، ومسلم رقم (٨٥) ، وأحمد (٤١٠/١ ، ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤ ، ٤٤٨ ، ٤٥١) من حديث ابن مسعود – رضى الله عنه – مرفوعًا .

(٤٠) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٥٩٧١) ، ومسلم رقم (٢٥٤٨) ، وأحمد (٣٢٧/٢ ، ٣٩١) من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا .

* وثبت فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رجل للنبى ﷺ : أجاهد ؟ قال : « لك أبوان ؟ » قال : نعم . قال : « ففيهما فجاهد »[٤١] .

ومن عظم حق الوالدين حرم الله عز وجل أن يتسبب الإنسان فى إيصال الأذى إليهما ، كما روى البخارى وغيره عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما -، أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه » قيل : يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : « يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه »[٤٢] .

* وثبت فى صحيح البخارى عن المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات »[٤٣] .

* وثبت فى صحيح البخارى من حديث أبى بكرة - رضى الله عنه -، واسمه نفيع بن الحارث أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « ثلاثا ؛ الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان

---

(٤١) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٥٩٧٢) ، ومسلم رقم (٢٥٤٩) ، وأحمد (١٦٥/٢ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٢١) من حديث عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - مرفوعًا .

(٤٢) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٥٩٧٣) ، وأبو داود رقم (٥١٤١) ، وأحمد (٢١٦/٢) من حديث عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - مرفوعًا .

(٤٣) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٥٩٧٥) ، ومسلم رقم (١٧١٥) ، وأحمد (٢٤٦/٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥) من حديث المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - مرفوعًا .

متكئًا فجلس ، فقال : « ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلت لا يسكت[٤٤] .

فمن عرف ضرورة بر الوالدين ، وحرمة عقوقهما ، وعرف كذلك أن برهما سبب في دخول الجنة ، فعليه ألا يضيع الفرصة ، بل يغتنمها ويبرهما كل البر ، فيفوز كل الفوز ، وعليه أن يخلص القصد ويجعله كله لله ، كي يقبل الله عمله .

---

(٤٤) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٥٩٧٦) ، ورواه مسلم رقم (٨٧) من حديث أبى بكرة واسمه نفيع بن الحارث – رضى الله عنه – مرفوعًا .

[٤٤ :الأربعين/صحابة]

الباب الثانى عشر : الاستقامة

ومن آدابهم الاستقامة على الأمور المرضية .

الحديث التاسع عشر

عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه قال :

« استقيموا ، ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن »(٤٥) .

---

(٤٥) حديث صحيح بطرقه :

وقد ورد هذا الحديث من طريق عبد الله بن عمرو وثوبان وأبى أمامة وغيرهم – رضى الله عنهم – أجمعين .

• أما حديث عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – فقد رواه ابن ماجه رقم (٢٧٨) وفى الإسناد ليث بن أبى سليم وهو ضعيف وبقية رجاله ثقات .

• وأما حديث ثوبان فله طرق عنه :

الأول : من طريق سالم بن أبى الجعد عن ثوبان رواه ابن ماجه رقم (٢٨٧) ، وأحمد (٥/٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢) ، والطبرانى فى الصغير رقم (٨ ، ٩٨٩) وإسناده صحيح إلا أنه منقطع من سالم وثوبان .

والثانى : من طريق أبى كبشة السلولى أنه سمع ثوبان مولى رسول الله ﷺ مرفوعًا . رواه أحمد (٥/٢٨٢) وإسناده حسن .

والثالث : من طريق عبد الرحمن بن ميسرة عن ثوبان مرفوعًا . رواه أحمد (٥/٢٨٠) وإسناده حسن .

• أما حديث أبى أمامة – رضى الله عنه –:

فقد أخرجه ابن ماجه رقم (٢٧٩) وفى الإسناد أبو حفص الدمشقى وهو مجهول .

وجملة القول أن هذا الحديث صحيح قوى بهذه الطرق مجتمعة .

□ التعليق على الحديث :

عذا الحديث الشريف ، ومثله الحديث الآتى بعده من الأحاديث التى تفرض على المسلم السير على الجادة ، والاستقامة على منهج الله عز وجل ، وقد مدح الله عز وجل أهل الاستقامة فى كتابه فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٤٦) .

وقال الله عزوجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٤٧) .

وقد أمر الله عز وجل بالاستقامة فى قوله سبحانه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾ (٤٨) .

وقال سبحانه : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾(٤٩) .

وقال سبحانه : ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾(٥٠) .

وأعظم شيء يجب الاستقامة عليه هو التوحيد ؛ أى توحيد الله عز وجل وإقراره بالعبادة ، وإخلاص العمل له وحده لا شريك له ، ونقصد بالتوحيد التوحيد الكامل الذى يحرم صاحبه على النار ، وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله ، ومعناها : أن الله هو المعبود الذى يطاع فلا يعصى خشية وإجلالًا ومهابة ومحبة ورجاءً وتوكلًا ودعاءً ، والمعاصى قادحة كلها فى كمال التوحيد لأنها إجابة لداعى الهوى والشيطان .

(٤٦) سورة فصلت : الآية ٣٠ .

(٤٧) سورة الأحقاف : الآية ١٣ .

(٤٨) سورة هود : الآية ١١٢ .

(٤٩) سورة الشورى : الآية ١٥ .

(٥٠) سورة فصلت : الآية ٦ .

ومن الاستقامة بل هى الاستقامة سلوك الطريق القويم ، والصراط المستقيم ، من غير تعويج ولا التفات يمنة ويسرة ، ويشمل ذلك فعل الطاعات ظاهرًا وباطنًا ، وترك المنكرات ظاهرًا وباطنًا ، كما قال تعالى فى المنهيات المحرمات : ﴿ **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ .

أما قوله ﷺ : « ولن تحصوا » فله وجهان فى التفسير ؛ الأول : لن تحصوا أجر استقامتكم ، والوجه الثانى : لن تحصوا بمعنى لن تطيقوا القيام بكل شيء أمرتم به ، ولا الكف عن كل ما نُهيتم عنه ، لأن أمر الاستقامة التامة عسير ، ولن تطيقوها بقوتكم وحولكم ، وإن بذلتم جهدكم ، بل تستطيعوا ذلك إذا أعانكم الله سبحانه ، وأنتم إذا أخطأتم وزللتم فإن الله غفور رحيم ، ولذلك لابد للمرء ألا يرى نفسه إلا مقصرًا مفرطًا ، فأخبرهم النبى ﷺ بعد الأمر بالاستقامة أنهم لا يقدرون على الإيفاء بحقه ، ولا البلوغ إلى ما يريده كله ، فكأنه يقول لهم افعلوا ما تستطيعون فعله ، ولا تيأسوا من رحمة ربكم إذا فاتكم شيء عجزًا وقصورًا ، لا تفريطًا وتقصيرًا .

وقوله : « واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة » أى خير الأعمال البدنية بعد التوحيد وإخلاص العمل والعبادة لله وحده لا شريك له ، والصلاة قدرها عظيم ، لما فيها من القرب من الرب ومناجاته عن قرب ، وهى معراج العبد إلى العلى العظيم ، فالواجب على المسلم المحافظة على الصلاة ، فيؤديها بأركانها ويحقق شروطها ، ويحافظ على خشوعها الذى هو لبها وروحها .

ولما كانت الصلاة من الإيمان كان الوضوء لها كذلك ، ولذلك لا يحافظ عليه إلا مؤمن ، لا سيما إذا كانت هذه المحافظة فى معظم الأوقات سواء للصلوات ، أم الوضوء من أجل الوضوء ، للبقاء على الطهارة للذكر والدعاء ، وقد ورد فى شأن الوضوء وفضله أحاديث كثيرة نذكر منها :

* ما رواه مسلم ، والترمذى ، وأحمد ، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به

الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط »(٥١) .

* وللحديث لفظ آخر رواه ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ، ويزيد فى الحسنات ؟ إسباغ الوضوء على المكروهات ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة »(٥٢) .

الحديث العشرون

وعن سفيان بن عبد الله الثقفى قال : قلت : يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولًا لا أسأل أحدًا عنه بعدك ، قال :

« قل آمنت بالله ، ثم استقم »(٥٣) .

---

(٥١) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (٢٥١) ، ومالك فى الموطأ رقم (٥٥) ، والترمذى رقم (٥١) ، والنسائى (٨٩/١ – ٩٠) ، وأحمد (٢٧٧/٢ ، ٣٠٣) كله من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا .

(٥٢) حديث صحيح :

رواه ابن ماجه رقم (٤٢٧) من حديث أبى سعيد – رضى الله عنه – مرفوعًا وحديث أبى هريرة السابق يشهد له .

(٥٣) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (٣٧) ، والترمذى رقم (٢٤١٠) ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٢) ، وأحمد (٤١٣/٣) كلهم من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى – رضى الله عنه – مرفوعًا .

الباب الثالث عشر : ترك النميمة

وهذا من الواجب تركه والتصاون عنه .

الحديث الحادى والعشرون

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن شر الناس ذو الوجهين ؛ الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه »(٥٤) .

□ التعليق على الحديث :

معنى النميمة : نقل الكلام بين الناس ، على سبيل الإفساد بينهم ، والحديث التالى أصرح من هذا الحديث فى عنوان الباب ، وأما حديث الباب هذا فقد قال الحافظ فى الفتح (١٠/٤٩٠) : قال القرطبى : إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق ، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب ، مدخل للفساد بين الناس . وقال النووى : هو الذى يأتى كل طائفة بما يرضيها ، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها ، وصنيعه نفاق ومحض كذب ، وخداع وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين ، وهى مداهنة محرمة . قال : فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود .

وقال غيره : الفرق بينهما أن المذموم من يزين لكل طائفة عملها ، ويقبحه عند الأخرى ، ويذم كل طائفة عند الأخرى ، والمحمود أن يأتى لكل

---

(٥٤) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٠٥٨) وفى غير موضع من الصحيح ، ورواه مسلم رقم (٢٥٢٦) ، وأبو داود رقم (٤٨٧٢) ، والترمذى رقم (٢٠٢٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (٢/٢٤٥ ، ٣٠٧ ، ٣٣٦ ، ٤٥٥ ، ٤٦٥ ، ٤٩٥ ، ٥١٧ ، ٥٢٥) كلهم من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا .

طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى ، ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى ، وينقل إليه ما أمكنه من الجميل ، ويستر القبيح . انتهى .

قلت : وصاحب الوجهين هذا فيه شبه من حال المنافقين ، إن لم يكن منهم ، وقد وصفهم الله عز وجل فى قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾(٥٥)

وقال رسول الله ﷺ فيما صح عنه من حديث عمار بن ياسر : « من كان له وجهان فى الدنيا ، كان له يوم القيامة لسانان من نار »(٥٦) .

---

(٥٥) سورة البقرة : الآية ١٤ .

(٥٦) حديث صحيح :

رواه أبو داود رقم (٤٨٧٣) من حديث عمار بن ياسر – رضى الله عنهما – مرفوعًا .

[٥٠ :الأربعين/صحابة]

الحـديث الثـانى والعشـرون

عن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **لا يدخل الجنة قتات** »(٥٧) .

□ **التعليق على الحـديث :**

(القتات) بقاف وتاء ثقيلة وألف بعده تاء ، وهو النمام ، وقال من فرق بينهما أن النمام الذى يحضر القصة فينقلها ، والقتات الذى يتسمع من حيث لا يعلم به ، ثم ينقل ما سمعه ، قال الغزالى فى الإحياء (١٦٥/٣) : فحقيقة النميمة إفشاء السر ، وهتك الستر عما يكره كشفه ، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره ، فينبغى أن يسكت عنه ، إلا ما فى حكايته فائدة لمسلم ، أو دفع لمعصية . إلى أن قال : فأما إذا رآه يخفى مالًا لنفسه فذكره فهو نميمة ، وإفشاء للسر ، فإذا كان ما ينم به نقصًا وعيبًا فى المحكى عنه ، كان قد جمع بين الغيبة والنميمة ، فالباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكى عنه ، أو إظهار الحب للمحكى له ، أو التفرج بالحديث والخوض فى الفضول والباطل ، وكل من حملت إليه النميمة ، وقيل له إن فلانا قال فيك كذا وكذا ، أو فعل فى حقك كذا ، فعليه ستة أمور :

الأول : أن لا يصدقه ، لأن النمام فاسق .

الثانى : أن ينهاه عن ذلك ، وينصحه ويقبح له فعله .

الثالث : أن يبغضه فى الله ، فإن الله يبغضه لفعله السيىء هذا، والمؤمن يبغض من يبغضه الله .

---

(٥٧) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٠٥٦) ، ومسلم (١٠٥) ، وأبو داود رقم (٤٨٧١) ، والترمذى رقم (٢٠٢٦) ، وأحمد (٣٨٢/٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤) من حديث حذيفة بن اليمان – رضى الله عنهما –.

والقتات هو النمام .

الرابع : أن لا يظن بأخيه الغائب السوء .

الخامس : أن لا يحمله ما نقله النمام إليه على التجسس والبحث والتحقق .

السادس : أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه ، فلا يحكى نميمته عنه ، فيقول فلان حكى كذا فيصير به نمامًا ، ويكون آتيًا ما نهى عنه . انتهى بتصرف من الإحياء . ولمزيد من الفائدة راجع شرح النووى على مسلم (١١٢/١٢) .

الباب الرابع عشر : الإصلاح بين الناس

الحـديث الثالـث والعشـرون

عن أبى أيوب أن النبى ﷺ قال :

« يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يرضى الله ورسوله موضعها ؟ » قال : بلى . قال : « تصلح بين الناس إذا تفاسدوا . وتقرب بينهم إذا تباعدوا »(٥٨) .

---

(٥٨) حديث ضعيف :

رواه الطبرانى فى الكبير رقم (٣٩٢٢) من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - وفى إسناده موسى بن عبيدة وهو متروك .

ه وقال الهيثمى فى المجمع (٧٩/٨ - ٨٠) : وورواه البزار من حديث أنس أن النبى ﷺ قال لأبى أيوب : « ألا أدلك على صدقة ..... » الحديث . وقال الهيثمى فيه عبد الرحمن ابن عبد الله العمرى وهو متروك .

ه قلت : وقد رواه الطبرانى فى الكبير رقم (٧٩٩٩) من حديث أبى أمامة - رضى الله عنه - مرفوعًا . وفى الإسناد عبد الله بن حفص صاحب أبى أمامة . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد : لم أعرفه وبقية رجاله ثقات . وهو كما قال الهيثمى فإنى لم أجد ترجمة لعبد الله هذا من البحث .

وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ في فضل الإصلاح بين الناس . فقد روى أبو داود رقم (٤٩١٩) ، والترمذى رقم (٢٥٠٩) ، وأحمد (٤٤٤/٦) من حديث أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة » .

الباب الخامس عشر

ذم من لا يصدق ، وبيان أن الصدق فى كل شىء محمود حسن ، وفى الصحبة والمعاشرة أحسن .

الحديث الرابع والعشرون

عن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ أنه قال :

« يكون فى آخر الزمان قوم إخوان العلانية ، أعداء السريرة » قيل : يا رسول الله : كيف يكون ذلك ؟ قال : « برغبة بعضهم إلى بعض ، ورهبة بعضهم من بعض »(٥٩) .

---

(٥٩) حديث ضعيف :

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٨٦/٧) : رواه البزار والطبرانى فى الأوسط ، وفيه أبو بكر بن أبى مريم وهو ضعيف .

قلت : ورواه أحمد فى المسند (٢٣٥/٥) من حديث حبيب بن عبيد عن معاذ ابن جبل - رضى الله عنه - مرفوعًا . وهذا إسناد ضعيف لسببين :

الأول : فى الإسناد أبو بكر بن أبى مريم وهو ضعيف .

الثانى : أن حبيب بن عبيد هذا ذكر ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ، وابن حجر فى التهذيب وغيرهما وذكروا أن حبيب هذا يروى عن عائشة مرسل . وعائشة - رضى الله عنها - توفيت سنة سبع وخمسين وعليه فروايته عن معاذ مرسلة من باب أولى ذلك أن معاذ توفى سنة ١٨ . والله أعلم .

الحـديث الخامـس والعشـرون

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« لله تبارك وتعالى عباد حفظوا العلم ، وضيعوا العمل به ، يتحابون بالألسنة ، ويتباغضون بالقلب ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم »(٦٠) .

---

(٦٠) لم أقف عليه من حديث ابن عباس :

والذى وقفت عليه إنما هو من حديث سلمان – رضى الله عنه – مرفوعًا رواه الطبرانى فى الكبير (٢٦٣/٦ – ٢٦٤) رقم (٦١٧٠) ، وأبو نعيم فى الحلية (١٠٩/٣) ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٨٧/٧) وعزاه للطبرانى فى الكبير والأوسط . وذكره ابن كثير – رحمه الله – فى التفسير (١٧٩/٤) .

ولفظه : « إذا ظهر القول وخُزِن العمل ، وائتلفت الألسنة وتباغضت القلوب ، وقطع كل ذى رحم رحمه ، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

وقال الهيثمى فى المجمع : وفيه جماعة لم أعرفهم .

الباب السادس عشر : فى التوكل

جعل الله التوكل من شروط الإيمان فقال عز وجل : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٦١) .

الحديث السادس والعشرون

عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ :

« يدخل سبعون ألفًا من أمتى الجنة بغير حساب » قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : « الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » قال عكاشة بن محصن الأسدى : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال : « أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال : « سبقك بها عكاشة »(٦٢) .

□ التعليق على الحديث :

إن التوكل على الله خلق كريم من أخلاق المؤمنين ، فقد أمر الله عز وجل بالتوكل عليه فى كتابه ، ومدح الله سبحانه وتعالى المتوكلين عليه فى

---

(٦١) سورة المائدة : الآية ٢٣ .

(٦٢) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (٢١٨) ، وأحمد (٤٣٦/٤) كلاهما من حديث عمران ابن حصين - رضى الله عنه - مرفوعًا .

ورواه البخارى رقم (٦٥٤١) ، ومسلم رقم (٢٢٠) ، وأحمد (٢٧١/١ ، ٤٠١) ، والترمذى رقم (٢٤٤٦) من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - مرفوعًا . ورواه مسلم رقم (٢١٦) ، وأحمد (٣٠٢/٢ ، ٣٥١ ، ٤٠١ ، ٤٥٦ ، ٥٠٢) كلاهما من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعًا .

غير موضع من كتابه ، من ذلك قول الله عز وجل ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[٦٦] .

وقال الرسول ﷺ : « لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا »[٦٧] (رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه بإسناد صحيح) .

قال النووى – رحمه الله – فى شرح مسلم (٩١/٣) : قوله ﷺ : « وعلى ربهم يتوكلون » اختلفت عبارات العلماء من السلف والخلف فى حقيقة التوكل ، فحكى الإمام أبو جعفر الطبرى وغيره عن طائفة من السلف أنهم قالوا : لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله تعالى ، من سَبُع أو عدو ، حتى يترك السعى فى طلب الرزق ثقة بضمان الله تعالى له رزقه ، واحتجوا بما جاء فى ذلك من الآثار ، وقالت طائفة : حده الثقة بالله تعالى ، والإتقان بأن قضاءه نافذ ، واتباع سنة نبيه ﷺ فى السعى فيما لابد منه ؛ من المطعم والمشرب ، والتحرز من العدو ، كما فعله الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين . قال القاضى عياض : وهذا المذهب هو اختيار الطبرى وعامة الفقهاء ،

---

(٦٣) سورة المائدة : الآية ٢٣ .

(٦٤) سورة التوبة : الآية ٥١ .

(٦٥) سورة يوسف : الآية ٦٧ .

(٦٦) سورة الطلاق : الآية ٣ .

(٦٧) **حديث صحيح :**

رواه الترمذى رقم (٢٣٤٤) ، وابن ماجه رقم (٤١٦٤) ، وأحمد (٣٠/١ ، ٥٢) ، والحاكم (٣١٨/٤) من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – مرفوعًا .

والأول مذهب بعض المتصوفة وأصحاب علم القلوب والإشارات ، وذهب المحققون منهم إلى نحو مذهب الجمهور ، ولكن لا يصح عندهم اسم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلى الأسباب ، بل فعل الأسباب سنة الله وحكمته ، والثقة بأنه لا يجلب نفعًا ولا يدفع ضرًا ، والكل من الله تعالى وحده . هذا كلام القاضى عياض .

وقال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيرى [قلت : وهو صاحب رسالتنا هذه] - رحمه الله تعالى -: اعلم أن التوكل محله القلب ، أما الحركة بالظاهر فلا تنافى التوكل بالقلب ، بعدما تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى ، فإن تعسر شيء فبتقديره ، وإن تيسر فبتيسيره .

وقال سهل بن عبد الله التسترى - رضى الله عنه -: التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد .

وقال أبو عثمان الجبرى : التوكل ، الاكتفاء بالله تعالى ، مع الاعتماد عليه . وقيل التوكل أن يستوى الإكثار والتقلل والله أعلم . انتهى من شرح صحيح مسلم .

واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافى السعى فى الأسباب ، التى قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها ، وجرت سنته فى خلقه بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطى الأسباب ، مع أمره بالتوكل ، فالسعى فى الأسباب بالجوارح طاعة له ، والتوكل عليه بالقلب إيمان به .

الباب السابع عشر : القناعة

الاكتفاء بما فى يدك ، وسقوط الاستزادة .

الحديث السابع والعشرون

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

« **القناعة كنز لا يفنى** »[٦٨] .

---

(٦٨) **حديث ضعيف** :

رواه ابن عدى فى الكامل (٤/١٩١) من حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - مرفوعًا . وفى الإسناد عبد الله بن إبراهيم بن أبى عمرو وهو ضعيف .

ه وقال المعلق على مسند الشهاب (جـ ١ ، ص ٧٢) حديث رقم (٦٣) : ورواه الطبرانى فى الأوسط (٤٩٦) مجمع البحرين من طريق خالد بن إسماعيل المخزومى عن يوسف ابن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر به . وزاد : « وكنز لا يفنى » وخالد متروك فهو واهٍ .

ورواه أبو الشيخ فى الأمثال (٨٣) ، والبيهقى فى الزهد (ص ٢٦) من طريق عبد الله ابن إبراهيم عن محمد بن المنكدر عن أبيه به . وعبد الله بن إبراهيم ضعيف . قال ابن حبان : يروى عن الثقات المقلوبات الملزوقات والمنكدر بن محمد ضعفوه . وقال البيهقى فى الزهد : هذا إسناده ضعيف (انتهى) .

قلت : والحديث رواه القضاعى فى مسند الشهاب رقم (٦٣) عن أنس وفى الإسناد خلاد بن عيسى متكلم فيه وقال فى التقريب : لا بأس به .

قلت : وقد ثبت فى صحيح مسلم رقم (١٠٥٤) ، والترمذى رقم (٢٣٤٨) ، وابن ماجه رقم (٤١٣٨) ، وأحمد (٢/١٦٨ ، ١٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص - رضى الله عنهما - مرفوعًا .

ولفظه : « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافًا ، وقنعه الله بما آتاه » .

وثبت نحوه بإسناد صحيح من حديث فضالة بن عبيد - رضى الله عنه - مرفوعًا رواه الترمذى رقم (٢٣٤٩) ، وأحمد (٦/١٩) ، والحاكم (١/٣٥) و(٤/١٢٢) . ولفظه : « طوبى لمن هدى الإسلام وكان عيشه كفافًا ، وقنع به » .

الباب الثامن عشر : فى الرضا

الرضا بما أمر الله أن يرضى العبد به كمال الإيمان .

الحديث الثامن والعشرون

عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا ترضين أحدًا بسخط الله ، ولا تحمدن أحدًا على فضل الله ، ولا تذمن أحدًا على ما لم يؤتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهية كاره ، فإن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط** »(٦٩) .

---

(٦٩) حديث ضعيف جدًا :

رواه الطبرانى فى الكبير (٢٦٦/١٠) من حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - مرفوعًا .

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧١/٤) : وفيه خالد بن يزيد العمرى . وقد اتهم بالوضع .

قلت : قال فيه ابن حبان فى المجروحين (٢٨١/١) : منكر الحديث جدًّا يروى الموضوعات عن الأثبات . وأضاف الذهبى فى الميزان (٦٤٦/١) إلى كلام ابن حبان السابق : كذبه أبو حاتم ويحيى .

الحـديث التاسـع والعشـرون

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ : « **ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا** »(٧٠) .

□ التعليق على الحديث :

قال النووى – رحمه الله تعالى – فى شرح صحيح مسلم (٢/٢) : قال صاحب التحرير – رحمه الله – : معنى رضيت بالشىء ، قنعت به ، واكتفيت به ، ولم أطلب معه غيره ، فمعنى الحديث : لم يطلب غير الله تعالى ، ولم يسع فى غير طريق الإسلام ، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ ، ولاشك فى أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه .

وقال القاضى عياض – رحمه الله – : معنى الحديث : صح إيمانه ، واطمأنت به نفسه ، وخامر باطنه ، لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ، ونفاذ بصيرته ، ومخالطة بشاشته قلبه ، لأن من رضى أمرًا سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ، ولذت له والله أعلم . انتهى .

---

(٧٠) **حديث صحيح** :

رواه مسلم رقم (٣٤) ، والترمذى رقم (٢٦٢٣) ، وأحمد (٢٠٨/١) كلهم من حديث العباس بن عبد المطلب – رضى الله عنه – مرفوعًا .

البـاب التاسع عشر : الذكر لله تعالى

الواجب على المريد أن يذكر الله سبحانه أبدًا بقلبه ، ولا ينساه ، ولا يعثر بلسانه عن ذكره ما أمكنه .

الحـديث الثلاثـــون

عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :

« ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير من إعطاء الذهب والورق ، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم » قالوا : ما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « ذكر الله تبارك وتعالى »(٧١) .

□ التعليق على الحديث :

فى هذا الحديث يخبرنا النبى ﷺ بأربح بضاعة ، وأكسب تجارة ، ألا وهى ذكر الله عز وجل ، واللهج بالتسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، وسائر أنواع الذكر ، وقد بين رسول الله ﷺ عظم فائدة ذكر الله عز وجل ، وأن العمل على إدامة الذكر هو أكبر فائدة ، وأعظم أجرًا عند المليك المقتدر من إنفاق الذهب ، والفضة ، وأعظم من الجهاد فى سبيل الله ، إذا خلت هذه العبادات وتعرت عن ذكر الله سبحانه وتعالى ، فذكر الله عز وجل أفضل الأعمال بعد توحيد الله ، وإخلاص العمل له ، وأداء الفرائض ، ولما كان الذكر بهذه

---

(٧١) **حديث صحيح :**

رواه الترمذى رقم (٣٣٧٧) ، وابن ماجه رقم (٣٧٩٠) كلاهما من حديث زياد ابن أبى زياد مولى ابن عياش عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - مرفوعًا .

ورواه أحمد (٤٤٧/٦) من نفس الطريق إلا أن فى روايته زياد بن أبى زياد مولى ابن عباس وأظنه خطأ والله أعلم .

المثابة فقد أمر الله عز وجل به فى كتابه كما فى قول الله عز وجل : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٧٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٧٣] .

وقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٧٤] .

وقد كان النبى ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ، كما ثبت ذلك فى صحيح مسلم عن عائشة – رضى الله عنها –[٧٥] .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ مر على جبل يقال له جمدان فقال : « سيروا هذا جمدان ، سبق المفردون » قالوا : ومن المفردون يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات »[٧٦] .

---

(٧٢) سورة الأحزاب : الآية ٤٢ .

(٧٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٥ .

(٧٤) سورة الأنفال : الآية ٤٥ .

(٧٥) حديث صحيح :

رواه البخارى معلقًا فى باب رقم (٧) من كتاب الحيض . وقد وصله مسلم فى الصحيح رقم (٣٧٣) ، وأبو داود رقم (١٩) ، وابن ماجه رقم (٣٠٢) ، وأحمد (٧٠/٧ ، ١٥٣ ، ١٧٨) من حديث عائشة – رضى الله عنها – مرفوعًا .

(٧٦) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (٢٦٧٦) ، وأحمد فى المسند (٣٢٣/٢) ، والترمذى رقم (٣٥٩٦) من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا .

الحـديث الحادى والثلاثـون

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله »(٧٧) .

□ التعليق على الحديث :

هذا الحديث يصف حال الناس فى آخر الزمان ، وأنهم ينسون ذكر الله عز وجل ، وهم شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة .

---

(٧٧) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (١٤٨) ، والترمذى رقم (٢٢٠٧) كلاهما من حديث أنس ابن مالك – رضى الله عنه – مرفوعًا .

البـــاب العشـــرون : اجتنـاب الريـــاء

سبيل المؤمن أن يتحرى فى التصاون عن الرياء .

الحــديث الثانى والثلاثــون

عن شداد بن أوس ، قال : سمعت النبى ﷺ يقول :

« من صلى مرائيًا فقد أشرك ، ومن صام مرائيًا فقد أشرك ، ومن تصدق مرائيًا فقد أشرك »[٧٨] قال عوف بن مالك : أفلا يعمد الله إلى ما كان له من ذلك فيقبله ، ويدع ما سوى ذلك . قال : فقال شداد أما

الحــديث الثالث والثلاثــون

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تبارك وتعالى : من أشرك بى فعمله قليله وكثيره لشريكى وأنا منه برىء »**[٧٩] .

---

(٧٨) حديث ضعيف :

رواه أحمد (٤/١٢٥ - ١٢٦) من حديث شداد بن أوس - رضى الله عنه - مرفوعًا . وفى الإسناد شهر بن حوشب وهو مختلف فى توثيقه والراجح - عندنا - أنه ضعيف . وإن كان الحديث صحيح معناه لأن له شواهد بالمعنى .

(٧٩) حديث صحيح (بشواهده) :

رواه أحمد (٤/١٢٤ ، ١٢٥ - ١٢٦) ، والطبرانى فى الكبير رقم (٧١٣٩) من حديث شداد بن أوس - رضى الله عنه - مرفوعًا . وفى الإسناد شهر بن حوشب وهو ضعيف لكن له شواهد كثيرة منها :

حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعًا بلفظ : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه». والحديث رواه مسلم رقم (٢٩٨٥)،

□ **التعليق على الحديث :**

هذه الأحاديث وغيرها دالة على وجوب إخلاص العمل لله وحده لا شريك له ، وقصد مرضاته ، وطلب ثوابه ، والهرب والنجاة من عقابه فى كل عمل من الأعمال ، وهذه الأحاديث أيضا تحذر الإنسان من الرياء ، وهو صرف العمل كله أو بعضه لغير الله سبحانه ، فمن صرف شيئًا من عمله لغير الله عز وجل فإن الله لا يقبل العمل كله بل يرده على صاحبه ، لأنه سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه سبحانه وتعالى .

فمن أراد الدنيا بعمله ، أو أراد الرياء ، والسمعة ، أو تحصيل شيء من المال أو المنصب والجاه ، فإن الله عز وجل قال: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٨٠)

وقال سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾(٨١) .

وأحمد (٣٠١/٢) ، وابن ماجه رقم (٤٤٠٢) . ولفظ ابن ماجه : « فأنا منه برىء وهو للذى أشرك » .

وله شاهد آخر من حديث أبى سعيد بن أبى فضالة - رضى الله عنه - وقال فى آخره : « فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » وهو حديث صحيح ، رواه ابن ماجه رقم (٤٢٠٣) . ورواه كذلك الترمذى ، وأحمد ، وله شواهد كثيرة .

(٨٠) سورة هود : الآية ١٥ ، ١٦ .

(٨١) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

الحديث الرابع والثلاثون

وعن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال :

« إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قيل : وما الشرك الأصغر ؟ قال : « الرياء ، إن الله عز وجل يقول يوم ينادى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً أو خيرًا »(٨٢) .

□ التعليق على الحديث :

هذا تحذير آخر من الرياء فى العمل ، وتسميته شركًا تغليظًا لأمره ، وتحذيرًا من خطره ، فإن المرائى يفضحه الله عز وجل أمام الخلائق يوم القيامة ، ويكشف أمره ويعرى ستره ، لأنه كان يتظاهر بالصلاح والتقى أمام الخلق ، وهم لا يعرفون حقيقة سريرته وخفى طويته ، فكان جزاؤه أن يظهر الله أمره ، فيكون هذا أول عقاب له فى الآخرة ، ثم يأمرهم الله عز وجل - أى يأمر المرائين - أن ينصرفوا إلى الذين كانوا يراؤونهم فى الدنيا ، ويطلبوا أجرهم منهم ،وفى هذا اليوم: ﴿ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾(٨٣) .

وهذا الحديث يذكرنا بالحديث الشريف الآخر الذى صح عنه ﷺ أنه قال : « بشر هذه الأمة بالسناء ، والدين ، والرفعة ، والنصر ، والتمكين فى الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له فى الآخرة من نصيب »(٨٤) .

---

(٨٢) حديث صحيح :

رواه أحمد فى مسنده (٥/٤٢٧) من حديث محمود بن الربيع - رضى الله عنه - مرفوعًا . والذى فى رواية أحمد : « هل تجدون عندهم جزاء » .

(٨٣) سورة الانفطار : الآية ١٩ .

(٨٤) حديث صحيح :

رواه أحمد (٥/١٣٤) .

* وثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد ، فأتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقى فى النار »(٨٥) .

---

(٨٥) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (١٩٠٥) ، وأحمد (٢/٢٢٢) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعًا .

الباب الحادى والعشرون :
إسبال الستر على المسلمين

كمال الفتوة فى الدين ، وتمام المروءة بين المسلمين إسبال الستر على ذوى المعايب .

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« لا يطلع رجل على عورة من أخيه فسترها عليه إلا دخل الجنة »**(٨٦) .

---

(٨٦) **حديث ضعيف** :

رواه الطبرانى فى الصغير رقم (١٠٩٠) ، وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٤٦/٦) إلى الأوسط وقال : وإسنادهما (أى الصغير والأوسط) ضعيف . وذكره المنذرى – رحمه الله – فى الترغيب بصيغة التمريض (رُوى) ولم يتكلم عليه . وفى إسناده خالد بن إلياس أبو الهيثم العدوى المدنى وهو ضعيف جدًّا ، جرحه جمع من الأئمة جرحًا شديدًا ولم يوثقه أحد ، كما فى ترجمته فى التهذيب (٧٠/٣) .

• وقال الطبرانى بعد روايته لهذا : لا يروى هذا الحديث عن أبى سعيد إلا بهذا الإسناد . تفرد به خالد بن إلياس . قلت : والإسناد ضعيف وخالد حاله كما ذكرت .

ويغنى عنه ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة الواردة فى فضل الستر على المسلمين من ذلك ما رواه البخارى رقم (٢٤٤٢) ، (٦٩٥١) ، ومسلم رقم (٢٥٨٠) ، وأبو داود رقم (٤٨٩٣) ، والترمذى رقم (١٤٢٦) . والحديث طويل والشاهد من الحديث قوله ﷺ : « من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » . ولفظه عند الترمذى : « ستره الله فى الدنيا والآخرة » .

والمعنى : أن من ستر مسلمًا إذا رآه على قبيح فلم يظهره للناس . وليس معنى الستر ترك الإنكار عليه وعدم نصحه . بل الواجب الإنكار عليه فيما بينه وبينه. وليحذر المسلم =

الباب الثانى والعشرون
حسن الظن بالله عز وجل

الإنسان يجب أن يكون حسن الظن بالله فى جميع أحواله ، من غير تقصير فى حسن عبادته وأعماله .

الحـديث السـادس والثلاثـون

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل »(٨٧) .

=من ذكر عيوب إخوانه وغيبتهم ونشر مساوئهم . فقد ثبت عند الإمام أحمد وأبى داود عن أبى برزة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه فى بيته » .

واعلم أن الناس على ضربين . أحدهما : من كان مستورًا لا يعرف بشىء من المعاصى ، فإذا صدرت منه هفوة أو سقطة فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها لأن ذلك غيبة محرمة .

الضرب الثانى : هو من كان مشتهرًا بالمعاصى معلنًا بها ولا يبالى بما ارتكب منها ولا بما قيل له . فهذا الفاجر المعلن ليس له غيبة كما نص على ذلك غير واحد . ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره وكشفه عند من يرجى منه أن يقوم بنهيه وزجره .

(٨٧) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (٢٨٧٧) ، وأبو داود رقم (٣١١٣) ، وابن ماجه رقم (٤١٦٧) ، وأحمد (٢٩٣/٣ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٣٩٠) كلهم من حديث جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – مرفوعًا .

□ **التعليق على الحديث :**

هذا الحديث يرشد المؤمن إلى إحسان الظن بربه دائمًا ، لا سيما إذا حضر أجله ، ودنت منيته ، وليكن فى حسبانه أن الله عز وجل سيرحمه ، ويغفر له ، وسيعفو عنه ، وسيتجاوز عن سيئاته ، وما بدر منه من زلاته ، وليغلب المؤمن جانب الرجاء على جانب الخوف فى هذا الوقت ، لأن الخوف فى هذا الوقت ربما أداه إلى القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى .

وإذا كان هذا الحديث يدعو المؤمن إلى إحسان الظن بربه تعالى ، فإنه يرشد إلى تقديم الأعمال الصالحة ، والطاعات الخالصات لله عز وجل ، والتى بتقديمها يحصل عند المسلم حسن الظن بأن الله عز وجل سوف يتقبلها ، وسوف يثيبه عليها .

وليس معنى الحديث التفريط فى طاعة الله عز وجل ، والإسراف فى المعاصى ، ثم يقول أنا أحسن الظن بالله عز وجل ، كذا يفعل بعض الجهلة من الناس ، وكذب لعمر الله ، فلو أحسن الظن لقدم من العمل الصالح ما يحمله على حسن الظن بربه ، لامتثاله للطاعة وبعده عن المعصية ، لا أن عمله جالب له رضا ربه وجنته لا محالة ، فإن من فاز بالثواب إنما ذلكم برحمة الله سبحانه وتعالى ، لا بعمله فاز ونجا ، كما قال النبى ﷺ : « لن ينجى أحدًا منكم عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته »[٨٨] .

---

(٨٨) **حديث صحيح :**

رواه البخارى رقم (٦٤٦٣) ، ومسلم رقم (٢٨١٦) ، وأحمد (٢/٤٥١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٣٩٥ ، ٥٠٣ ، ٥١٤ ، ٥٣٧) كلهم من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعًا .

الباب الثالث والعشرون : إعانة المسلمين

الحـديث السابـع والثلاثـون

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

« من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يبتغى فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »(٨٩) .

□ التعليق على الحديث :

هذا الحديث حديث عظيم القدر ، جامع لأنواع من الأخلاق والآداب التى ينبغى التحلى بها والسعى فيها ، لما يترتب على ذلك من الأجر العظيم ، والثواب الجزيل من الله أرحم الراحمين الجواد الكريم .

فقد تضمن هذا الحديث الحث على تفريج كرب أهل الكروب ، والتنفيس عليهم ، ومساعدتهم فى الخروج من شدائدهم ، والتيسير عليهم فى حالات عسرهم وضيقهم ، فمن فرج كربة مكروب ، ويسر على عبد معسر ، كان جزاؤه من جنس عمله ، ذلك أن الله عز وجل يفرج كربه فى الدنيا والآخرة ، وييسر عليه فى الدنيا والآخرة ، وكلما اجتهد العبد فى مساعدة أخيه المسلم كلما كانت معونة الله ومساعدته له .

---

(٨٩) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) ، وأبو داود رقم (٤٩٤٦) ، والترمذى رقم (١٤٢٥) ، وابن ماجه رقم (٢٢٥) ، وأحمد (٢/٢٥٢ ، ٤١٤ ، ٥٠٠) كلهم من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا . ولفظ مسلم : (فى بيت من بيوت الله) بدلا من (مسجد من مساجد الله) .

وقد تضمن الحديث فضل طلب العلم ، وأنه من الأسباب الموصلة إلى جنة الخلد ، التى وعد الرحمن عباده إنه كان وعده مأتيًا ، وقد سبق الإشارة إلى فضيلة العلم ، وطلبه فى أول الرسالة .

وتضمن الحديث فضيلة الاجتماع على تدارس القرآن وتلاوته ، وعلى تدارس السنة وتعلمها ، وقد سبق هذا أيضا فى أول الرسالة ، والحمد لله رب العالمين .

الباب الرابع والعشرون
حسن المعاملة مع الخلق

وذلك من أمارات الصدق فى عبودية الحق .

الحـديث الثامـن والثلاثــون

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

« **ألا أخبركم من يحرم على النار ، وبمن تحرم النار عليه ؟ على كل هين ، لين ، سهل ، قريب** »(٩٠) .

□ التعليق على الحديث :

تحرم نار جهنم على كل هين ، وهو عكس الفظ ، وهو من يتصف بالرفق والتواضع مع عباد الله ، واللين هو من كان فى قلبه رحمة وشفقة على الخلق ، والسهل أى السهل فى معاملاته ، السمح فى اختلاطه ، وأموره من البيع والشراء وغيرها .

والقريب أى قريب من الناس ، فيقضى لهم حوائجهم ، ويسعى لهم فى مصالحهم ، والقريب أيضًا يعنى أنه سريع الفيئة ، والانقياد لشرع الله عز وجل .

---

(٩٠) **حديث صححه الألبانى :**

رواه الترمذى رقم (٢٤٨٨) ، وأحمد (٤١٥/١) ، والطبرانى فى الكبير (٢٨٥/١٠) من حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - مرفوعًا . وفى الإسناد عبد الله ابن عمرو الأودى وهو مجهول لم يرو عنه إلا موسى بن عقبة وهو مجهول ولكن له شواهد ذكرها الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة حديث رقم (٩٣٨) فانظرها .

الحـديث التاسـع والثلاثـون

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

« **من أنظر معسرًا أظله الله ، يوم لا ظل إلا ظله** »(٩١) .

□ التعليق على الحديث :

فى هذا الحديث بيان لفضيلة التمهل على من عليه دين ، حتى ييسر الله عليه ويستطيع أداء هذا الدين الذى عليه ، وأن من تمهل على المعسر أو حط عنه دينه أو بعضه فإن الله عز وجل يكافئه على ذلك ، بأن يظله الله تعالى يوم القيامة ، ذلك اليوم الشديد حره ، العظيم كربه ، المخيف هوله ، وتكون مكافأته بأن يكون فى ظل الله عز وجل ، حيث لا ظل إلا ظله سبحانه .

---

(٩١) **حديث صحيح** :

رواه الترمذى رقم (١٣٠٦) . وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وأحمد (٣٥٩/٢) كلاهما من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا وله شاهد بلفظه من حديث أبى اليسر الصحابى – رضى الله عنه – مرفوعًا رواه مسلم رقم (٣٠٠٦) ، وأحمد (٤٢٧/٤) .

الباب الخامس والعشرون : صلة الرحم

صلة الرحم من أركان الدين وفرائضه .

الحـديث الأربعــون

عن أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

« من سره أن يمد الله له في عمره ، ويوسع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء ، فليتق الله وليصل رحمه »(٩٢) .

□ التعليق على الحديث :

هذا الحديث فيه الحث والحض للمسلم أن يصل رحمه ولا يقصر في ذلك ، فإن في صلة الرحم فوائد عظيمة تعود على المسلم في العاجل والآجل ، ومن هذه الفوائد والعوائد أنه يمد له في عمره ، وقد استشكل بعضهم قول النبي ﷺ : « أن يمد له في عمره » مع قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(٩٣) ، والجمع بينهما من وجهين ذكرهما الحافظ في الفتح (١٠/٤٣٠) .

---

(٩٢) حديث صحيح :

أما حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فقد قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٥٣) رواه عبد الله بن أحمد ، والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير عاصم بن حمزة وهو ثقة .

قلت : وقد ثبت الحديث دون قوله : (ويدفع عنه ميتة السوء) وقوله : (فليتق الله) من طريق عدد من الصحابة منهم من طريق أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعًا رواه البخاري رقم (٥٩٨٥) . ومن طريق أنس – رضي الله عنه – مرفوعًا رواه البخاري رقم (٥٩٨٦) .

(٩٣) سورة النحل : الآية ٦١ .

أحدهما : أن هذه الزيادة كناية عن البركة فى العمر ، بسبب التوفيق إلى الطاعة ، وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة ، وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك ، ومثل هذا ما جاء أن النبى ﷺ أنبأ بتقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم ، فأعطاه الله ليلة القدر . وحاصله أن صلة الرحم تكون سببًا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية ، فيبقى بعده الذكر الجميل ، فكأنه لم يمت .

ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذى ينتفع به من بعده ، والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح .

ثانيهما : أن الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر ، أما الأول الذى دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى ، كأن يقال للملك مثلًا : إن عمر فلان مائة مثلًا إن وصل رحمه ، وستون إن قطعها ، وقد سبق فى علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذى فى علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذى فى علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(٩٤) ، فالمحو والإثبات بالنسبة لما فى علم الملك ، وما فى أم الكتاب هو الذى فى علم الله تعالى فلا محو فيه ألبتة ، ويقال له : القضاء المبرم ، ويقال للأول القضاء المعلق .

والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب . انتهى .

ومن فوائد صلة الرحم أن يوسع الله رزق الواصل ، ويبارك له فيه ، ومن فوائد صلة الرحم أن الله عز وجل يدفع عن الواصل ميتة السوء .

ومن أعظم أسباب جلب النعم ، ودفع النقم ، تقوى الله عز وجل ، والوقوف عند حدوده ، وأحكام شرعه ، وفعل أوامره ما استطاع العبد ، وترك النواهى ، والإخلاص له سبحانه فى كل عمل وعبادة .

---

(٩٤) سورة الرعد : الآية ٣٩ .

الحديث الحادى والأربعون

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إن الرحم لتتعلق بالعرش يوم القيامة ، تقول : يارب اقطع من قطعنى ، وصل من وصلنى** »(٩٥) .

□ **التعليق على الحديث :**

هذا الحديث يدل على قرب الرحم من الرحمن قربًا عظيمًا من كل جانب ، فالرحم مشتق اسمها من اسم الرحمن ، كما ثبت ذلك فى حديث عبد الرحمن بن عوف ، أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : أنا خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ، ومن بتها بتته »(٩٦) .

والرحم كلمت ربها؛ إما بلسان الحال أو بلسان المقال ، وطلبت من الله عز وجل أن يعيذها ويحميها من القطيعة ، فقطع الله عز وجل عهدًا على نفسه المقدسة أن من وصل الرحم وصله الله ، ومن قطع الرحم قطعه الله سبحانه وتعالى .

قال النووى فى شرح صحيح مسلم (١١٣/١٦) : قال العلماء : وحقيقة الصلة العطف والرحمة ، فصلة الله سبحانه وتعالى عبارة عن لطفه بهم ، ورحمته إياهم ، وعطفه بإحسانه ونعمه ، أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى ، وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته .

---

(٩٥) حديث صحيح .

(٩٦) حديث صحيح :

رواه أحمد والترمذى وأبو داود . انظر : السلسلة الصحيحة للألبانى حديث رقم (٥٢٠) .

قال القاضى عياض : ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة ، وقطيعتها معصية كبيرة . قال : والأحاديث فى الباب تشهد بهذا ، ولكن الصلة درجات ، بعضها أرفع من بعض ، وأدناها ترك المهاجرة ، وصلتها بالكلام ولو بالسلام ، ويحتلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة . فمنها واجب ، ومنها مستحب . ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعًا ، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغى له لا يسمى واصلًا . قال : واختلفوا فى حد الرحم التى تجب صلتها ، فقيل : هو كل رحم محرم ؛ بحيث لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى حرمت مناكحتها ، فعلى هذا لا يدخل أولاد العم ولا أولاد الخال ، واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى النكاح ونحوه ، وجواز ذلك فى بنات الأعمام والأخوال ، وقيل : هو عام فى كل رحم من ذوى الأرحام ، فى الميراث يستوى المحرم وغيره ، ويدل عليه قوله ﷺ : « ثم أدناك أدناك »[٩٧] هذا كلام القاضى ، وهذا القول الثانى هو الصواب . انتهى .

وقال الحافظ فى الفتح (٤٣٢/١٠) :

قال القرطبى : إن الرحم التى توصل عامة وخاصة ، فالعامة رحم الدين ، وتجب مواصلتها بالتوداد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة ، وأما الرحم الخاصة فتزيد النفقة على الأقارب ، وتفقد أحوالهم ، والتغافل عن زلاتهم ، وتتفاوت مراتب استحقاقهم فى ذلك .

وقال ابن أبى جمرة : تكون صلة الرحم بالمال ، وبالعون على الحاجة ، وبدفع الضرر ، وبطلاقة الوجه ، وبالدعاء . والمعنى الجامع : إيصال ما أمكن من الخير ، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة .

---

(٩٧) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٥٩٧١) ، ومسلم رقم (٢٥٤٨) ، وأحمد (٢٢٦/٢) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعًا .

وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة ، فإذا كانوا كفارًا أو فجارًا فمقاطعتهم فى الله هى صلتهم ، بشرط بذل الجهد فى وعظهم ، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب ، أن يعودوا إلى الطريق المثلى . انتهى .

الباب السادس والعشرون
الرحمة على خلق الله عز وجل

ومن كمال الدين وتمامه وحسن الإسلام ونظامه الرحمة على خلق الله تبارك وتعالى .

الحديث الثانى والأربعون

عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :
« **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** »(٩٨) .

□ التعليق على الحديث :

فى هذ الحديث يخبر النبى ﷺ أن الله عز وجل يرحم من يرحم خلقه لأن الجزاء من جنس العمل ، فمن كانت عنده رحمة للخلق الذين يتعامل معهم من آدمى وحيوان لم يؤمر بقتله ، فإن له رحمة عند خالقه ، إذ هو أرحم الراحمين ، ولكل موقف رحمة تناسبه ، وتظهر هذه الرحمة فى صور عديدة ، وهذه الرحمة تتمثل فى الشفقة على الخلق ، والتوجع لما ينزل بهم من المصائب والملمات ، والمحاولة فى دفع ما ينزل بهم من الشدائد إن استطاع ، وكذلك تظهر الرحمة فى مواساتهم فى أحزانهم ، والتصدق عليهم إن كان له فضل مال ، وكذا يدخل فى الرحمة العطف على اليتيم ، والمسح على رأسه ، وتيسير أموره ورعاية ماله . ومن الرحمة للخلق أيضًا دعوتهم للحق ، وحثهم على لزومه ، والعمل بمقتضاه . ومن رحمتهم الدعاء لهم بالهداية ، والفرح بهم عندما يهديهم الله للحق ، والإشفاق على عصاة المسلمين ، مما ينتظرهم من العذاب إن ماتوا على غير توبة . اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر .

---

(٩٨) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٠١٣ ، ٧٣٧٦) ، ومسلم رقم (٢٣١٩) ، والترمذى رقم (١٩٢٢) . وقال : حسن صحيح . وأحمد (٣٦٠/٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦) كلهم من حديث جرير بن عبد الله - رضى الله عنه - مرفوعًا .

الباب السابع والعشرون
فى المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

الواجب على المسلم أن لا يؤثر نفسه على أخيه المسلم ، وأن يرضى له ما يرضى لنفسه .

الحـديث الثالث والأربعـون

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »(٩٩) .

□ التعليق على الحديث :

(لا يؤمن أحدكم) المراد بنفى الإيمان نفى بلوغ حقيقته ونهايته ، فإن الإيمان كثيرًا ما ينفى لانتفاء بعض أركانه وواجباته ، كقوله ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »(١٠٠) . وقوله ﷺ : « لا يؤمن

---

(٩٩) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (١٣) ، ومسلم رقم (٤٥) ، والترمذى رقم (٢٥١٥) ، والنسائى (١١٤/٨ ، ١١٥) ، وابن ماجه رقم (٦٦) ، وأحمد (١٧٦/٣ ، ٢٠٦ ، ٢٥١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩) كلهم من حديث أنس بن مالك – رضى الله عنه – مرفوعًا .

(١٠٠) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٥٥٧٨) ، ومسلم رقم (٥٧) ، وأبو داود رقم (٤٦٨٩) ، وابن ماجه رقم (٣٩٣٦) ، والترمذى رقم (٢٦٢٥) ، والنسائى (٦٤/٨ ، ٦٥) ، وأحمد (٢٤٣/٢ ، ٣١٧ ، ٣٧٦ ، ٤٧٩) كلهم من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا .

من لا يأمن جاره بوائقه »[١٠١] .

وحديث الباب الذى نحن بصدد التعليق عليه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ، ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير ، وهذا كله إنما يأتى من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد ، فإن الحسد يقتضى أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد ، فى خير أو يساويه فيه ، ولأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم . والإيمان يقتضى خلاف ذلك ، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شىء .

ولما كان المؤمن يحب لإخوانه ما يحب لنفسه فإن هذا يوجب عليه أن ينصح لهم ، ويجتهد فى إصلاح ما عندهم من العيوب . ومن حب المؤمن الخير لإخوانه أن يدعو لهم بالخير ، ويفرح إذا اهتدى ضالهم ، وعوفى مريضهم ، واغتنى فقيرهم ، ويفرح بحصول الخير لهم وبزوال الشر عنهم .

---

(١٠١) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٠١٦) ، وأحمد (٣١/٤) و(٣٨٥/٦) كلاهما من حديث أبى شريح الخزاعى - رضى الله عنه - مرفوعًا .

رواه مسلم رقم (٤٦) ، وأحمد (٢٨٨/٢ ، ٣٣٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣) كلاهما من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعًا .

الحـديث الرابع والأربعـون

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام »(١٠٢) .

□ التعليق على الحديث :

قال الحافظ فى الفتح (١٠/٤٩٨) : قال ابن عبد البر : تضمن الحديث تحريم بغض المسلم ، والإعراض عنه ، وقطيعته بعد صحبته بغير ذنب شرعى ، والحسد له على ما أنعم به عليه ، وأن يعامله معاملة الأخ النسيب ، وأن لا ينقب عن معايبه ، ولا فرق فى ذلك بين الحاضر والغائب ، وقد يشترك الميت مع الحى فى كثير من ذلك ا . هـ .

قوله ﷺ : « لا تقاطعوا » نهى المسلمين عن القطيعة بينهم إلا لسبب شرعى .

وقوله ﷺ : « ولا تدابروا » : لا تتهاجروا ، فيهجر أحدكم أخاه ، مأخوذ من تولية الرجل الآخر دبره ، إذا أعرض عنه حين يراه ، والتدابر فيه معنى المعاداة .

وقوله ﷺ : « ولا تباغضوا » نهى المسلمين عن التباغض بينهم فى غير الله تعالى ، بل على أهواء النفوس ، فإن المسلمين جعلهم الله إخوة ، والإخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون ، قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده

---

(١٠٢) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٠٦٥ ، ٦٠٧٦) ، ومسلم رقم (٢٥٥٩) ، وأبو داود رقم (٤٩١٠) ، والترمذى رقم (١٩٣٥) ، ورواه أحمد فى مواضع من المسند كاملًا ومختصرًا (٣/١١٠ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣) كلهم من حديث أنس ابن مالك – رضى الله عنه – مرفوعًا .

لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم »(١٠٣) .

وقد حذر الله عز وجل وحرم ما يوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(١٠٤) .

وامتن الله عز وجل على المؤمنين بتأليف قلوبهم وجمعهم على الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(١٠٥) .

ومن أجل الإبقاء على هذه الأخوة ، وهذه المحبة القائمة بين أهل الإيمان والطاعة ، ومن أجل دفع وإبعاد ما يفسدها ، ويحلها بالعداوة والبغضاء ، حرم الله عز وجل على لسان رسوله المشي بالنميمة ، لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء ، ورخص النبي ﷺ فى الكذب فى الإصلاح بين الناس ، وإزالة ما بينهم من العداوة والبغضاء ، ورغب فى هذا الإصلاح ما لم يحل دونه محظور شرعى ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام ؟ والصدقة» **قالوا : بلى يا رسول الله ، قال: « إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة »**(١٠٦) .

---

(١٠٣) حديث صحيح :

رواه مسلم (٥٤) ، والترمذى رقم (٢٦٨٨) ، وأبو داود رقم (٥١٩٣) ، وابن ماجه (٦٨ ، ٣٦٩٢) ، وأحمد (٣٩١/٢ ، ٤٤٢ ، ٤٧٧ ، ٤٩٥ ، ٥١٢) من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه –

(١٠٤) سورة المائدة : الآية ٩١ .

(١٠٥) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(١٠٦) حديث صحيح :

رواه أبو داود رقم (٤٩١٩) ، والترمذى رقم (٢٥٠٩) ، وأحمد (٤٤٤/٦) من حديث أبى الدرداء – رضى الله عنه – مرفوعًا .

وأما البغض فى الله فهو من أوثق عرى الإيمان ، وليس داخلًا فى النهى ، ولكن لابد أن يتأكد المسلم أنه يبغض أخاه لسبب شرعى يستلزم البغض ، فإن الناس لما كثر اختلافهم فى مسائل الدين وكثر تفرقهم ، كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم ، وكل منهم يظهر أنه يبغض لله ، وقد يكون الحامل لبعضهم على البغض ليس إلا مجرد الهوى والألفة ، أو العادة ، أو اتباع بعض الكبراء الذين يظن فيهم أنهم يقولون الحق دائمًا ، دون التحرى والسماع لغيرهم ، أو النظر فى أدلتهم إن كان من أهل النظر ، وكل هذا يقدح فى أن يكون هذا البغض لله ، فالواجب على المؤمن أن ينصح لنفسه ، ويتحرز فى هذا غاية التحرز ، وما أشكل على المسلم من أمر ، هل يستحق أن يبغض لأجله أو لا ؟ فليتحر ، وليقف ، ويتمهل ، ولا يبغض ولا يقاطع ، حتى يتيقن خشية أن يقع فيما نهى عنه من البغض المحرم .

وقوله ﷺ : « ولا تحاسدوا » الحسد : تمنى الشخص زوال النعمة عن مستحق لها ، فإن زاد عن هذا التمنى وسعى فى إزالة هذه النعمة عن صاحبها ، فإنه يكون بذلك باغيًا ، وإن لم يسع فى ذلك ، ولا أظهره ولا تسبب فى تأكيد أسباب الكراهية التى نهى المسلم عنها فى حق المسلم نظر : فإن كان المانع له من ذلك العجز ، بحيث لو تمكن لفعل ، فهذا مأزور ، وإن كان المانع له من ذلك التقوى ، فقد يعذر لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية ، فيكفيه فى مجاهدتها أن لا يعمل بها ، ولا يعزم على العمل بها . انتهى من فتح البارى .

وقوله ﷺ : « وكونوا عباد الله إخوانا » أي يحب المسلم للمسلم من الخير كما يحب ذلك الخير لأخيه من النسب ، وكذلك يكره المسلم لأخيه المسلم من الشر كما يكرهه لأخيه من النسب ، ويتعامل المسلم مع أخيه بالشفقة ، والرحمة ، والمحبة ، والمواساة ، والمعاونة ، والنصيحة ، والفرح لما ينزل بأخيه المسلم من الخير ، والتوجع لما ينزل به من الآلام والشدائد .

وقوله ﷺ : « ولا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » أى لا يحل ذلك لغير سبب شرعى ، لأن الهجر لغير سبب شرعى شاق على نفس المسلم ، أما الهجر لسبب شرعى يدعو إلى ذلك فجائز ، للأدلة الثابتة فى

ذلك ، والتى منها قصة الثلاثة الذين خلفوا ، وجاء ذكرهم فى سورة التوبة وثبت حديثهم فى صحيح البخارى ومسلم[١٠٧] .

---

(١٠٧) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٤٤١٨) وفى غير موضع من الصحيح ، ومسلم رقم (٢٧٦٩) ، والنسائى فى الكبرى كما فى التحفة . ورواه أبو داود رقم (٢٧٥٦) ، والنسائى (١٥٢/٦) من حديث كعب بن مالك - رضى الله عنه - مرفوعًا .

الباب الثامن والعشرون

حسن الخلق

حسن الخلق أشرف خصال المؤمن ، ومما بين الحق سبحانه أنه وصف رسوله ﷺ فى نص كتابه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[108] .

الحديث الخامس والأربعون

عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يوضع فى الميزان شىء أفضل من حسن الخلق »[109] .

□ التعليق على الحديث :

أما تصدير المؤلف هذا الباب بهذه الآية فى وصف رسول الله ﷺ ، فإنه إشارة إلى أن قدوة العالمين جميعًا كان على أعظم خلق وأكمله . فيا من أراد السير على نهجه الأصلح ، وطريقه الأقوم ، لابد لك من الاقتداء بنبيك ﷺ ، وأن تتخلق بخلقه العظيم .

وهذا الخلق العظيم هو ما أمر القرآن به فى آياته ، وسار عليه النبى ﷺ فى حياته ، ولذا لما سئلت عائشة أم المؤمنين عن أخلاقه ﷺ ، قالت : « كان خلقه القرآن » فهذا دليل على أنه كان سائرًا على نهجه ، عاملًا بما فيه من المأمور ، وترك ما فيه من المحظور .

والخلق الحسن الذى يثقل كفة الميزان ، والذى يصل بصاحبه إلى سكنى الجنان ، قد فسره العلماء بعبارات ، ومن مجموع هذه العبارات يمكن القول

---

(١٠٨) سورة القلم : الآية : ٤ .

(١٠٩) **حديث صحيح :**

رواه أبو داود رقم (٤٧٩٩) ، وأحمد (٤٤٢/٦ ، ٤٤٦) ، والترمذى رقم (٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣) ، والبخارى فى الأدب المفرد رقم (٤٦٤) من حديث أبى الدرداء – رضى الله عنه – مرفوعًا .

بأن الخلق الحسن هو الكرم ، والبذلة ، والعطية ، والاحتمال ، والبشر الحسن ، وهو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .

وعبر بعض أهل العلم عن الخلق الحسن فقال : كظم الغيظ لله ، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع أو الفاجر . والعفو عن الزالين إلا تأديبًا ، وإقامة الحد ، وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغييرًا لمنكر ، وأخذًا بمظلمة لمظلوم من غير تعدٍّ ، ومن حسن الخلق أيضًا أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وبكل ما ذكرناه أنه داخل فى حسن الخلق ثبتت الأحاديث الصحيحة ، ولولا خشية الإطالة لذكرناها وهى لا تخفى إن شاء الله تعالى .

الحـديث السادس والأربعـون

وعن النواس بن سمعان الأنصارى قال : سئل رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال :

«البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس »(١١٠) .

□ التعليق على الحديث :

البر فى هذا الحديث معناه الإحسان إلى الخلق ، والرفق بهم ، والرحمة معهم ، والتلطف فى معاملتهم ، وتحمل أذاهم ،وقد فسره النبى ﷺ بحسن الخلق ، وقد سبق بيان معنى ذلك .

وللبر معنى أوسع من هذا ، وهو بمعناه الواسع يشمل جميع أمور الإيمان ، بل وجميع الطاعات كما قال تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(١١١) .

---

(١١٠) حديث صحيح :

رواه مسلم فى صحيحه رقم (٢٥٥٣) ، والترمذى رقم (٢٣٨٩) . وقال : حديث حسن صحيح . ورواه أحمد فى مسنده (١٨٢/٤) كلهم من حديث النواس بن سمعان .

(١١١) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

وقد يكون المقصود بالبر فى الحديث حسن الخلق ، أى التخلق بأخلاق الشريعة ، وبهذا المفهوم يدخل فيه أركان الإيمان والطاعات ، التى منها الإحسان إلى الخلق والرحمة بهم .

وقوله ﷺ : « والإثم ما حاك فى صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » معناه أن المؤمن إذا أراد أن يقدم على قول شيء أو عمله ، فوجد ضيقًا فى صدره ، وترددًا فى نفسه ، وتحرك الصدر فيه وتردد ولم ينشرح ، وحصل فى القلب منه الشك ، وخوف كونه ذنبًا ، ثم حاول أن يستتر بفعله من أهل الصلاح والتقى ، الذين أعطاهم الله بصرًا فى الحلال والحرام ، خشية أن يطلعوا على فعله هذا ، فمثل هذا الفعل ينبغى التصاون عنه ، وعدم الجرأة والإقدام عليه . وتردد النفس هذا واضطرابها عند الإقدام على فعل الإثم ، أو المتشابه ، إنما يكون لدى من نور الله بصيرته بالعلم الشرعى ، وملأ الله قلبه بنور الإيمان ، أما غير العلماء فلربما ترددوا فى فعل أشياء مأمور بها فى الشرع ، ولا يأتى ترددهم ورعًا وإنما جهلًا منهم بالمأمور به والمحذور منه .

الباب التاسع والعشرون
حسن الخلق مع الأولاد والرفق بهم

الحديث السابع والأربعون

عن أبي قتادة السلمي أن رسول الله ﷺ :

كان يصلي وهو حامل أمامة ، فإذا سجد وضعها وإذا قام رفعها »[112] .

□ **التعليق على الحديث :**

هذا الحديث فيه إشارة إلى تواضعه ﷺ ، ورحمته وشفقته بالأطفال ، وسائر الضعفاء ، وفيه بيان لحسن خلقه ﷺ ، وفيه عدم كراهيته للبنات ، خلافًا لأهل الجاهلية الذين كانوا يكرهون البنات ولا يتلطفون معهم كما يتلطفون مع الصبيان ، وفي هذا الحديث أيضًا إشارة وبيان لما كان عليه النبي ﷺ من الإيمان والتقوى ، لجمعه بين الصلاة وخشوعها ، وحمله لهذه الطفلة ، ومراعاة أحوالها من حملها ووضعها عند الخوف عليها من السقوط .

وفي الحديث بيان صحة صلاة من صلى وهو يحمل آدميًا .

---

(١١٢) حديث صحيح :

رواه البخاري رقم (٥١٦) وفي غير موضع من الصحيح . ورواه مسلم رقم (٥٤٣) ، ورواه أبو داود رقم (٩١٧ ، ٩١٨) ، ورواه النسائي (٣/ ١٠) كلهم من حديث أبي قتادة الأنصاري - رضي الله عنه - مرفوعًا .

الباب الثلاثون
حسن الخلق مع الخدم

الحديث الثامن والأربعون

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :

« إذا جاءكم الصانع بطعام ، قد أغنى عنكم حره ودخانه ، فادعوه فليأكل معكم ، وإلا فالقموه فى يده ، أو ليناوله فى يده »(١١٣) .

□ التعليق على الحديث :

هذا الحديث يوجه المسلم الذى أسلم قلبه وجوارحه لله فانعكس ذلك على سلوكه يوجهه إلى التواضع ، وإلى حسن الخلق مع كل الناس الذين من حوله ، حتى مع الخدم الذين مهمتهم خدمته والقيام على شئونه ، فإذا جاء الخادم بالطعام ، والمقصود هنا الخادم الذى طبخ بالذات أو الذى يناول الطعام لسيده ، إذا جاء الخادم بالطعام فليطيب خاطره ويفرح نفسه ، بأن يجلس السيد خادمه ليأكل معه ، فإن لم تطب نفس السيد لهذا ، أو كان الطعام قليلًا ، فلا أقل من أن يعطيه لقمة أو لقمتين منه ، وذلك أن نفس هذا الخادم ربما كانت تتوق لهذا الطعام ، ونفسه تهفو إليه ، لأنه هو الذى أعده وجهزه لهذا السيد ، أو هو الذى أحضره له وقدمه إليه .

وإعطاء الخادم من الطعام فيه أيضا دفع لشره ولعينه ، وفيه دفع للخواطر الرديئة التى ربما تخطر بباله ، والوساوس الشريرة التى ربما تساور الخادم إذا لم يعط من الطعام .

---

(١١٣) **حديث صحيح :**

رواه البخارى رقم (٥٤٦٠) ، وأبو داود رقم (٣٨٤٦) ، والترمذى رقم (١٨٥٣) ، وابن ماجه رقم (٣٢٨٩ ، ٣٢٩٠) ، وأحمد فى مواضع من المسند منها (٢/٢٥٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٩٩) وغيرها كلهم من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعًا .

الباب الحادى والثلاثون
الحب فى الله تعالى

الحب فى الله ركن فى الدين قوى ، وفرض شرعى مرضى .

الحديث التاسع والأربعون

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« من سره أن يطعم طعام الإيمان ، فليحب العبد لا يحبه إلا لله عز وجل »(١١٤) .

□ التعليق على الحديث :

إن الإيمان هو طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ، وهذا يلزمه حب الله وحب رسوله ﷺ ، ومن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ، ويسخط ما يسخط الله ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض ، فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك كأن يكون ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله ، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه ، دل ذلك على نقص محبته الواجبة ، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل محبته الواجبة .

---

(١١٤) حديث صحيح :

رواه أحمد (٢٩٨/٢ ، ٥٢٠) ، والبزار كما قال الهيثمى فى المجمع (٩٠/١) وقد ثبت معناه عند البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - مرفوعًا بلفظ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » ومنها « أن يحب المرء لا يحبه إلا لله » .

وحب الأشخاص الواجب على المؤمن فيه أن يكون متابعًا لما جاء به الرسول ﷺ ، فيجب على المؤمن محبة من يحبه الله ورسوله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عمومًا ، فمن فعل ذلك فقد استكمل شعبة من شعب الإيمان ، بل من أهم شعب الإيمان ، لأن هذا الأمر يحتاج إلى مجاهدة النفس في الله حتى تطبع على هذه المحبة الشرعية ، التى ربما تكون فى كثير من الأوقات محبة ثقيلة عليها ، لما فيها من مخالفة حظوظها ، وربما مناقضتها .

الحـديث الخمســون

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

« المتحابون فى الله تعالى على منابر من نور يوم القيامة ، يغبطهم الشهداء والصالحون »[١١٥] .

□ التعليق على الحديث :

هذا الحديث بيان لمنزلة وفضيلة المتحابين فى الله يوم القيامة ، وذلك أنهم يكونون يوم القيامة على منابر من نور ، فإذا نظر إليهم الشهداء والصالحون غبطوهم لذلك .

ومعنى الغبطة هو تمنى أن يكون للإنسان من الخير مثل ما عند أخيه ، دون تمنى زوال ما عند أخيه من النعمة والخير .

---

(١١٥) حديث صحيح :

(و لم أقف عليه من حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما) إنما رواه الترمذى رقم (٢٣٩٠) ، وأحمد (٥/٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨) من حديث معاذ بن جبل - رضى الله عنه - وإسناده صحيح وله شاهد من حديث أبى مالك الأشعرى - رضى الله عنه - مرفوعًا رواه أحمد (٥/٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣) وفى إسناده شهر بن حوشب وهو ضعيف على الراجح من أقوال أهل العلم ولكنه شاهد جيد للحديث السابق .

وله شواهد متعددة من طرق عدة من الصحابة أوردها الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٢٧٦) وما بعدها .

الباب الثانى والثلاثون
فى أن المؤمنين كنفس واحدة

الحديث الحادى والخمسون

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ :

« المؤمنون كرجل واحد ، إن اشتكى رأسه تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر »(١١٦) .

الحديث الثانى والخمسون

وعن النعمان بن بشير أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر »(١١٧) .

□ **التعليق على الحديثين :**

هذا مثل عظيم رائع لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامى من التحاب والترابط ، فالأفراد فى هذا المجتمع يشعر بعضهم بشعور بعض ، أساس تعاملهم الرحمة والشفقة ، فالغنى يعود على الفقير بماله ، والمعافى يشعر بما يشعر به المريض المبتلى ، فهذا يدعو لهذا ، وهذا يتألم لذلك ، وكلهم يفرحون بفرح واحد منهم ، لأنهم يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم ، وهم

---

(١١٦) **حديث صحيح :**

رواه مسلم رقم (٢٥٨٦) ، وأحمد (٤/٢٦٨) كلاهما من حديث النعمان ابن بشير - رضى الله عنهما - مرفوعًا .

(١١٧) **حديث صحيح :**

رواه البخارى رقم (٦٠١١) ، ومسلم رقم (٢٥٨٦) ، وأحمد (٤/٢٧٠) كلهم من حديث النعمان بن بشير الأنصارى - رضى الله عنهما - مرفوعًا .

بالوصف الذى ذكره النبى ﷺ فى الحديث جسد واحد ، يتأثر منه كل عضو بالآخر فرحًا وترحًا ، فإذا اشتكى عضو من أعضاء هذا الجسد الواحد فإن بقية الأعضاء تشتكى وتتألم ، والجسد كله يفقد نومه وراحته من ألم ما يشعر به من شكوى ذلك العضو المشتكى .

وإذا نظرت إلى واقع المسلمين فى أيامنا هذه راعك ما هم عليه فهم بعيدون فى جملتهم عن تطبيق هذا الحديث الشريف بينهم ، فالأخ لا يسأل عن أخيه ولا يعرف شيئًا عما يشعر به ، والجار لا يعرف شيئًا عن جاره ، وقل مثل هذا عن الأب وابنه ، والقريب وقريبه ، فانقطعت الصلات ، وقلت الرحمة بين الخلق ، وضعفت إلا فى القليل النادر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

نسأل الله عز وجل أن يعيد المسلمين إلى دينهم ، وأن يغرس الرحمة فى قلوبهم ، وأن يهديهم إلى صراطه المستقيم ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

الباب الثالث والثلاثون
فى الجود والسخاء

الحديث الثالث والخمسون

عن عائشة وعن أبيها ، أن رسول الله ﷺ قال :

« ما جبل ولى الله إلا على السخاء وحسن الخلق »[(118)] .

---

(118) حديث موضوع :

انظر السلسلة الضعيفة للألبانى حديث رقم (٦٢٢) ، والموضوعات لابن الجوزى (١٧٩/٢)، واللآلىء المصنوعة للسيوطى (٤٨/٢) ، وتنزيه الشريعة لابن عراق (١٢٩/٢) .

وقد صح فى الحث على السخاء والجود أحاديث منها ما ذكره الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١٨٠٠) من حديث سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كريم يحب الكرماء . جواد يحب الجود ويحب معالى الأخلاق ، ويكره سفسافها » . وما ذكره أيضا برقم (١٨٠١) عن سهل بن سعد - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كريم يحب الكرم . ويحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها » .

الحـديث الرابع والخمســون

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ :

« **لا تحقرن من المعروف شيئًا ، ولو أن تلق أخاك بوجه طلق ، وإذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، واغرف لجيرانك منها** »(١١٩) .

□ التعليق على الحديث :

هذا الحديث يدعو المسلم إلى الحرص على المعروف قولًا وفعلًا ، ويحثه ألا يستصغر شيئًا من الخير ويحتقره ، ويهمل قوله وفعله ، وذلك أن الميزان الذى سوف توزن الأعمال فيه يوم القيامة دقيق ، يثقله مثاقيل الذر من الخير . ومن المعروف – وكل معروف صدقة – أن يقابل المسلم أخاه بوجه طلق مبتسم ، وهذا مما يدل على صفاء القلب ، وراحة النفس عند اللقاء ، أما مقابلة المسلم أخاه عابس الوجه فإن هذا مما يضع بذور العداوة والبغضاء فى القلوب ، فليحرص المسلم على أن يهش فى وجه إخوانه ، وأن يحسن معاملتهم ومقابلتهم ، وأن يحرص على إكرامهم محتسبًا فى ذلك أجره عند الله عز وجل .

ومن المعروف أيضًا الذى ينبغى للمسلم الحرص عليه هو أن يكون كريمًا سخيًّا ، يجود بما عنده من الخير ، وأولى الناس أن يصيبهم المسلم من خيره هم جيرانه ، فإذا طبخ المسلم طعامًا ، فإنه يحسن به أن يزيد ماءه ، ويغرف منه ويعطى لجيرانه ، ويتأكد هذا فى حقه إذا كان الله قد وسع عليه رزقه ، وقدره على جيرانه .

---

(١١٩) حديث صحيح :

رواه الترمذى بتمامه رقم (١٨٣٣) ، ورواه مسلم مفرقًا فى روايات متعددة حديث رقم (٢٦٢٦) ، وابن ماجه رقم (٣٣٦٢) ، وأحمد (١٤٩/٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٣) كلهم من حديث أبى ذر – رضى الله عنه – مرفوعًا .

الباب الرابع والثلاثون
فى إغاثة اللهفان

الحديث الخامس والخمسون

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« كل معروف صدقة ، والدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان »(١٢٠) .

---

(١٢٠) إسناده ضعيف والحديث صحيح :

قد صح الحديث من طرق غير طريق ابن عباس - رضى الله عنهما - كما سنذكر بعد إن شاء الله تعالى .

ه أما حديث ابن عباس فقد قال الشيخ الألبانى - جزاه الله خيرًا - فى السلسلة الصحيحة أثناء الكلام على الحديث رقم (١٦٦٠) هو من طريق طلحة بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - مرفوعًا . وطلحة متروك . وقد عزا الألبانى الحديث للبيهقى فى شعب الإيمان . ولكتابنا هذا (الأربعين) .

ه قلت : ولكن الحديث قد صح مفرقا من طرق أخرى فأما قوله ﷺ : « كل معروف صدقة » فقد ثبت من حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - مرفوعًا رواه البخارى رقم (٦٠٢١) ، وأحمد (٣٤٤/٣ ، ٣٦٠) . ومن حديث حذيفة رواه مسلم رقم (١٠٠٥) ، وأحمد (٣٨٣/٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٥) .

وأما قوله : « والدال على الخير كفاعله » فقد رواه أحمد (٢٧٢/٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ومسلم فى الصحيح رقم (١٨٩٣) ، وأبو داود رقم (٥١٢٩) ، والترمذى رقم (٢٦٧١) .

وله شاهد من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - مرفوعًا رواه الترمذى رقم (٢٦٧٠) وإسناده حسن .

□ التعليق على الحديث :

اشتمل هذا الحديث الشريف على ثلاثة أجزاء ، وبيانها كالآتى : قوله ﷺ : « كل معروف صدقة » قال الراغب فى مفرداته : المعروف اسم كل فعل يعرف حسنه بالشرع والعقل معًا ، والمراد بالصدقة الثواب ، فإن قارنته النية أجر صاحبه جزمًا وإلا ففيه احتمال ، والمعروف الذى يجلب لصاحبه الثواب لا ينحصر فى الأمور المحسوسة من الإنفاق ونحوه ، بل يتعداه إلى معانى الخير كلها ، محسوسة وغير محسوسة . وقد ثبت أن التبسم فى وجه الإخوان من الصدقات ، وثبت أن التسبيح والتحميد وغيرها من أنواع الذكر من الصدقات أيضًا ، وخلاصة القول أن اسم الصدقة وإن كان يطلق على إنفاق المال إلا أنه ثبت أنه يطلق على قول الخير وفعله ، بل ثبت فى البخارى من حديث أبى موسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « فليمسك عن الشر ، فإنه له صدقة »(١٢١) .

« والدال على الخير كفاعله » هو موافق لقوله ﷺ فى الحديث الآخر : « من سن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة »(١٢٢) وللدال مثل أجر العامل ، لأنه سبب فى العمل .

« والله يحب إغاثة اللهفان » فالله عز وجل يحب لعباده أن يتعاونوا فيما بينهم وأن يساعد قويهم ضعيفهم ، وغنيهم فقيرهم ، والله سبحانه وتعالى رحيم يحب من عباده الرحماء ، والملهوف هو ذو الحاجة الشديدة ، وإغاثته يعنى إعانته إعانة عاجلة بالقول أو الفعل إن استطاع ذلك .

---

(١٢١) **حديث صحيح** : رواه البخارى رقم (١٤٤٥) وفى غير موضع من الصحيح ، ومسلم رقم (١٠٠٨) ، وأحمد (٣٩٥/٤ ، ٤١١) من حديث أبى موسى – رضى الله عنه – مرفوعًا .

(١٢٢) **حديث صحيح** : رواه مسلم رقم (١٠١٧) ، رواه النسائى (٧٥/٥ ، ٧٦) ، وابن ماجه رقم (٢٠٣) ، وأحمد (٣٥٧/٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١) من حديث جرير بن عبدالله – رضى الله عنه – مرفوعًا . وله شاهد صحيح من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعًا رواه مسلم (٢٦٧٤) ، وابن ماجه رقم (٢٠٤) .

الباب الخامس والثلاثون

التواضـــع

التواضع احتقار العبد نفسه ، والانقياد لقبول الحق ، وأن لا يرى لنفسه مزية على غيره .

الحديث السادس والخمسون

عن جابر قال : **أتيت النبي ﷺ فى دين كان على أبى فدفعت الباب . فقال : « من هذا ؟ » قال : قلت أنا . قال : « أنا أنا » كأنه كره ذلك**[١٢٣] .

□ التعليق على الحديث :

فى هذا الحديث أدب من آداب الاستئذان ، وهو إذا سئل الطارق من هو فلا يقول أنا ، لأن النبى ﷺ قد كره هذا الصنيع من جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - ، وينبغى للمستأذن إذا سئل : من هو ؟ أن يعرف نفسه بما يفصح عن شخصه ولا يحصل به الخلط بينه وبين الآخرين ، كأن يقول أنا فلان باسمه أو كنيته أو صنعته أو بما يكون مألوفًا معروفًا عند السائل ، ولأن قول أنا ربما تدخل على نفس قائليها شيئًا ما من الكبر ، فأنا تعنى أنا الذى لا أحتاج إلى تعريف لشهرتى ، أو غير ذلك ولاشك أن هذا منتفى فى حق جابر ابن عبدالله - رضى الله عنهما - ، ولكن لايؤمن على غيره من مثل هذا ، فليحذر المسلم هذا ، وليحافظ على فعل السنة ، والاقتداء بالفضلاء من أهل العلم والتقى .

---

(١٢٣) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٦٢٥٠) وفى غير موضع من الصحيح . ومسلم رقم (٢١٥٥) ، والترمذى رقم (٢٧١١) . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأبو داود رقم (٥١٨٧) ، وابن ماجه رقم (٣٧٠٩) . كلهم من حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - مرفوعًا .

الباب السادس والثلاثون : فى النصيحة للمسلمين

الحديث السابع والخمسون

عن جرير بن عبدالله قال : « **بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم** »

(**وأنا لكم ناصح**(١٢٤))(١٢٥) .

□ التعليق على الحديث :

هذا الحديث يدل على أهمية النصح للمسلمين ، وبيان ذلك أن النصح كان من جملة ما يبايع عليه النبى ﷺ بعض المسلمين .

قال الخطابى : النصيحة هى كلمة يعبر بها عن إرادة الخير للمنصوح له ، وأصل النصح فى اللغة الخلوص . يقال : نصحت العسل ، إذا خلصته من الشمع .

والنصح يكون لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، كما جاء فى حديث أبى رقية تميم بن أوس الدارى – رضى الله عنه – الذى رواه مسلم فى صحيحه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة » قلنا : لمن يا رسول

---

(١٢٤) قوله : « وأنا لكم ناصح » ليس من كلام النبى ﷺ وإنما هو من كلام جرير ابن عبد الله فهو مدرج فى الحديث .

(١٢٥) حديث صحيح :

رواه البخارى رقم (٥٨) وفى غير موضع من الصحيح . ورواه مسلم رقم (٥٦) من طرق ، ورواه أبو داود رقم (٤٩٤٦) ، والترمذى رقم (١٩٢٥) ، والنسائى (١٤٠/٧)، وأحمد فى المسند (٣٥٧/٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦) كلهم من حديث جرير بن عبد الله – رضى الله عنه – مرفوعًا .

الله ؟ . قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »[126] .

والمقصود هنا هو بيان كيف ومعنى النصح لعامة المسلمين وهو الذى يتبادر إلى الفهم من قراءة أو سماع الحديث .

فالنصيحة للمسلمين تكون بأن يحب لهم ما يحبه لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ويشفق عليهم ، ويرحم صغيرهم ، ويوقر كبيرهم ، ويحزن لحزنهم ، ويفرح لفرحهم ، وإن ضره ذلك فى دنيا كرخص أسعارهم ، وإن كان فى ذلك فوات ربح ما يبيع من تجارته ، وكذلك جميع ما يضرهم عامة . ويحب ما يصلحهم ، وألفتهم ، ودوام النعم عليهم ، ونصرهم على عدوهم ، ودفع كل أذى ومكروه عنهم .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : والنصيحة لعامة المسلمين ، إرشادهم إلى مصالحهم ، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ونصرتهم على أعدائهم ، والذب عنهم ، ومجانبة الغش والحسد لهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، وما شابه ذلك . انتهى باختصار من جامع العلوم والحكم .

---

(١٢٦) حديث صحيح :

رواه مسلم رقم (٥٥) من طرق ، وأبو داود رقم (٤٩٤٤) ، والنسائى (٧/١٥٦ ، ١٥٧) ، وأحمد (٤/١٠٢ ، ١٠٣) كلهم من حديث أبى رقية تميم بن أوس الدارى – رضى الله عنه – مرفوعًا .

الباب السابع والثلاثون :
فى فضيلة صحبة المسلمين ومخالطتهم

الحديث الثامن والخمسون

عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « **المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** »(١٢٧) .

□ التعليق على الحديث :

هذا الحديث الشريف فيه بيان فضيلة الإقامة بين الناس ، والاختلاط بهم ، والتعامل معهم فى أمورهم ، والتعاون معهم على عمل الخير الدنيوى والأخروى ، وهذا كله مع أمن الفتنة على النفس ، فإن أمن المؤمن على نفسه ودينه فى مخالطة الناس والتعامل معهم تعامل ، وإلا اعتزل الناس ، وعاش وحده .

فإن عاش مع الناس وتعامل معهم فإن أجره عظيم ، وثوابه جزيل ، لما فى التعامل معهم من معاونتهم ، والإحسان إليهم ، والرحمة بهم ، ونصحهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والصبر عليهم ، وغير ذلك من أبواب الخير وتحصيل الثواب التى تنفتح أمام المخالط للناس ، دون الذى لا يخالطهم .

---

(١٢٧) حديث صحيح :

رواه ابن ماجه رقم (٤٠٣٢) ، وأحمد (٢/٤٣) من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - مرفوعًا . ورواه الترمذى رقم (٢٥٠٧) ، وأحمد (٥/٣٦٥) من حديث شيخ من أصحاب النبى ﷺ . والواضح لى أن هذا الشيخ هو ابن عمر . والله أعلم .

البـاب الثامن والثلاثـون : فى حفظ البصـر

الحديث التاسع والخمسـون

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **حرمت النار على ثلاثة ؛ عين بكت من خشية الله تعالى ، وعين سهرت فى سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله عز وجل** »(١٢٨) .

---

(١٢٨) **حديث ضعيف جدًا** بهذا التمام ولبعض أجزائه شواهد كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

وأما الحديث الوارد أعلاه فقد رواه البغوى فى شرح السنة (٣٦٥/١٤) من طريق مؤلف رسالتنا هذه – أبى القاسم القشيرى –. وفى الإسناد محمد بن يونس الكديمى وهو متهم بسرقة الحديث ووضعه . وأبو حبيب مجهول لا يدرى حاله والحديث من حديث بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده .

وقد أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٨٨/٥) وقال : رواه الطبرانى وفيه أبو حبيب العنقزى ويقال القنوى ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

والحديث رواه أبو نعيم فى الحلية (٢٠٩/٥) من طريق الكديمى لكن قال فيه عن ابن عباس – رضى الله عنهما –. والكديمى سبقت الإشارة إلى حاله .

٥ وقد صح عن رسول الله ﷺ قوله : « عينان لا تمسهما النار أبدًا – وفى رواية : عينان لا تصيبهما النار – عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله » . انظر : صحيح الجامع للشيخ الألبانى رقم (٤١١٢ ، ٤١١٣) .

وللحديث شاهد من حديث أبى ريحانة – رضى الله عنه – أخرجه أحمد (١٣٤/٤ – ١٣٥) ، والحاكم (٨٣/٢) ، وابن أبى شيبة (٣٥٠/٥) . وفى تهذيب ابن عساكر (٢٤٢/٦) وفى الإسناد محمد بن شمير ولم يوثقه إلا ابن حبان وقد صحح الحاكم هذا الحديث ووافقه الذهبى .

الباب التاسع والثلاثون

فى الحلم

الحديث الستون

عن محمد بن على عن أبيه أمير المؤمنين على – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم ، وإن الرجل يكتب جبارًا وما يملك إلا أهل بيته** »(١٢٩) .

---

(١٢٩) حديث ضعيف :

رواه أبو نعيم فى الحلية (٨/٢٨٩) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/٢٤) : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عبد الحميد بن عبد الله بن حمزة وهو ضعيف جدًّا .

قلت : بل هو عبد العزيز بن عبد الله بن حمزة بن **صهيب** بن سنان الحمصى كما فى الحلية . فهو الذى فى أحد الإسنادين عند أبى نعيم وفى الإسناد نفسه إسماعيل بن عياش يروى عن غيرالشاميين وهو يخلط فى روايته عن غير الشاميين . وفى الإسناد أيضًا الهيثم ابن خالد المصيصى وهو ضعيف كما فى الميزان نقلًا عن الدارقطنى .

وللحديث إسناد آخر عند أبى نعيم وفيه علل ؛ الأولى الهيثم بن خالد المصيصى وهو ضعيف كما ذكرنا والحارث الأعور وهو متروك .

الباب الأربعون

من له كفاية من المال الحلال

الحديث الحادى والستون

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

« من أصاب مالًا حلالًا ، فكف به وجهه ، ووصل به رحمه ، وقضى به دينه ، وأقام به على جاره ، لقى الله يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ، ومن أصاب مالًا حرامًا ، وكان مكاثرًا ومفاخرًا ومرائيًا ، لقى الله - عز وجل - وهو عليه غضبان »(١٣٠) .

تمت الأربعون حديثًا بعون الله ، ومنه وكرمه ولطفه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبوبه مالكه العبد الفقير إلى الله المستجير من عذاب الله ، السيد الحسين ابن الحسين بن عز الدين بن الحسم الشامى الداعى الهادوى ، رزقه الله حفظ معانيه ، والعمل بما فيه ، إنه على كل شىء قدير ، وبالإجابة جدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١٣٠) لم أقف عليه .

فهرس الكتـاب

رقم الإيداع : ٩٢٣٤ / ٩٢

الترقيم الدولى : 5 - 020 -272 -977